# منهج العلامة الدمنهوري

# ت ١١٩٢ هـ - في تفسيره المسمى

## بـ (الفيض العميم في معنى القرآن العظيم)


دكتور

**ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي**

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة.

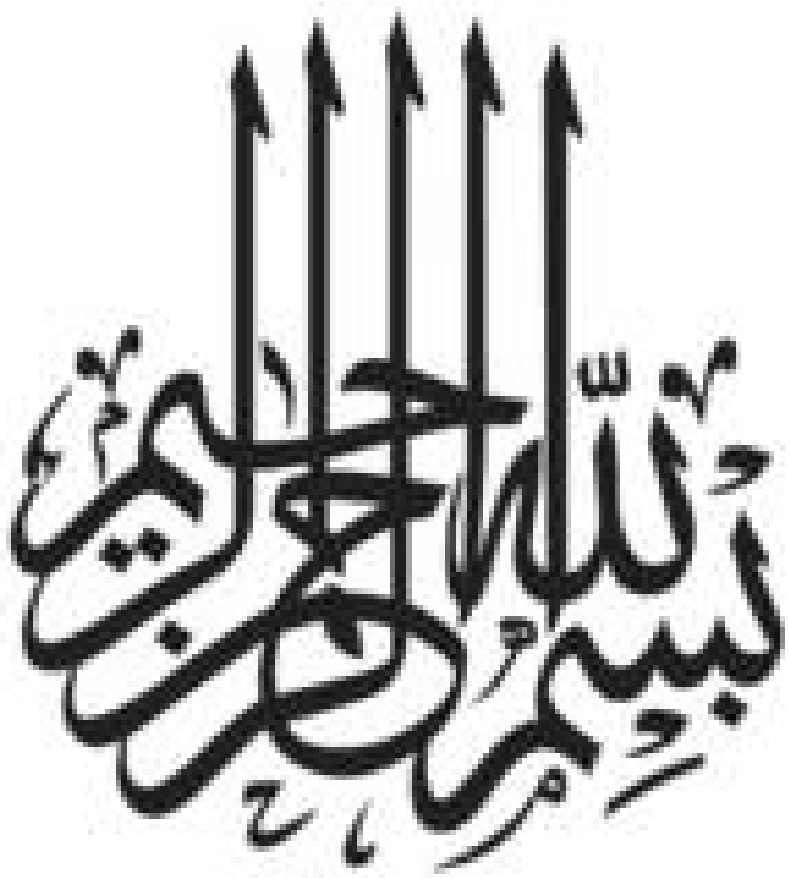

## مقدمة

**الحمد لله علَّم القرآن وعلم بالقلم، أخرجنا بهدي كتابه وسنة نبيه محمدٍ – صلى الله عليه وسلم– من حوالك الظلم، أحمده سبحانه وأشكره على عظيم ما تفضَّل وجزيل ما أنعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأعز الأكرم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، أنزل عليه الكتاب والحكمة وعلَّمه ما لم يكن يعلم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أمَّا بعد:**

**فإنَّ القرآن الكريم هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، هو الملاذ عند الفتن، وهو المنقذ عند المصائب والمحن، " لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يَخلق عَلَى كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، مَنْ قال به صدق، ومَنْ حكم به عدل، ومَنْ عمل به أُجر، ومَنْ دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم"(١)، تكفَّل الله لمَنْ قرأه وعمل بما فيه، ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومَنْ تركه وهجره ونسيه؛ خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، قال – تعالى – : { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}(٢).**

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه – أبواب فَضَائِل الْقُرْآن - باب مَا جَاءَ فِي فَضْل القُرْآن (١٧٢/٥) رقم (٢٩٠٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ»، وقال محققه: " ضعيف".

(٢) طه:١٢٣ - ١٢٧.

ولمَّا كان القرآن بهذه المكانة العالية، وتلك المنزلة السَّامية، وجَّه العلماء إليه أنظارهم، وعلَّقوا به قلوبهم، وراحوا يستضيئون بنوره، وينهلون من معينه، ويعتنون بعلومه، ويستخرجون كنوزه، ويستنبطون معانيه، ويتدبرون آياته؛ ليصلوا إلى سعادة الدنيا وخير الآخرة، موقنين أنَّه لا شرف إلا والقرآن سبيلٌ إليه، ولا خير إلا وفى آياته دليلٌ عليه، وقد بذلوا في سبيل تحقيق ذلك الغَاليَ والنَّفيسَ.

وكان من بين هؤلاء الأعلام الذين سخروا أقلامهم، وأفنوا أعمارهم في خدمة كتاب ربهم: الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة (١١٩٢هـ)، والذي قام بتفسير بعض قصار سور القرآن من أول سورة الضحى إلى آخر سورة الناس في كتابٍ وسمه بـــــــــــــ( الفيض العميم في معنى القرآن العظيم).

وقد اطَّلعتُ – بعون الله وتوفيقه – على هذا السِّفر القيِّم، وقرأتُه قراءةً متأنية، فشرح الله صدري لكتابة هذا البحث المتواضع حول منهج الشيخ الدمنهوري في هذا التفسير، وسمَّيتُه: (منهج العلامة الدمنهوري –ت ١١٩٢هـ– في تفسيره المسمى بـــــــــــــ" الفيض العميم في معنى القرآن العظيم) .

وكان من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

(١) القيمة العلمية لهذا الكتاب حيث حوى بين دفتيه كثيراً من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم.

(٢) إلقاء الضوء على علَم فذّ، وجهبذ من جهابذة عصره، حتى ينال حقه من العناية بمؤلفاته، والتكريم لاسمه.

(٣) بيان جهود بعض علماء الأزهر الشريف في تفسير القرآن الكريم من خلال رؤيةٍ منهجيَّة لتفسير الشيخ الدمنهوري – رحمه الله – تُبرزُ

قدره، وتُبيِّنُ مكانته، وتُوضِّحُ مدى التزامه بقواعد التفسير وأصوله، وفي ذلك – إن شاء الله تعالى– كشفٌ لذخائر تراثنا الإسلامي الزاهر، وتقديرٌ لجهود علمائنا الأفاضل ووفاء ببعض حقهم علينا.

(٤) إفادة شخصي الضعيف من علم هذا الرجل – خاصةً ما يتعلق بأصول التفسير وقواعده–؛ حيث يتعرض الباحث لكثير من القضايا العلمية، تفسيرية، وفقهية، وأصولية، ولغوية، ونحوية، وبلاغية وعقدية، وغير ذلك، ممَّا يكون له عظيم الأثر في إثراء شخصيته العلمية.

ملامح المنهج العلمي الذي اتبعته في البحث:

وقد اعتمدت في هذا البحث علي المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك لإبراز أصول القضايا التي عُني بها الشيخ الدمنهوري في تفسيره، ثم دراستها بما يجلي للقارئ الكريم منهجه في معالجتها مع ذكر بعض أمثلتها، ثم إبداء الرأي ممَّا تيسر لي فيما انتهى إليه، هل وُفِّق في تناولها على المنهج الأمثل أو أنه قد جانبه الصواب الذى كان من الأولى أن يسير عليه.

هذا مجمل المنهج العلمي الذي سار عليه البحث، وأمَّا تفصيله فكان على النحو التالي:

١ – ذكر نص الآية الكريمة ونص كلام الشيخ الدمنهوري عند تفسيره لها.

٢ – عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ – تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة مع الحكم عليها غالبًا.

٤ – عزو النقول إلى أصحابها من العلماء مع ذكر المصدر ورقم الجزء والصفحة ما أمكن.

٥ – إيضاح معاني بعض الألفاظ الغامضة، وذلك بالرجوع إلى المعاجم المعتمدة، وكتب التعريفات، وذكرها في الهامش.

**محتويات البحث:**

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقوم على خطةٍ علميةٍ تقوم على تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وثمانية مطالب، وخاتمة.

أمَّا المقدمة ففيها بيان أسباب اختياري هذا الموضوع، والمنهج العلمي الذي سار عليه البحث، ورسم الخطة الفنية له.

وأما التمهيد ففيه: ترجمة موجزة للعلامة الدمنهوري، والتعريف بتفسيره المسمى بـــــــــــ" الفيض العميم في معنى القرآن العظيم".

أمَّا المطلب الأول: فتضمن علوم القرآن في تفسير الدمنهوري.

والثاني: عناية الدمنهوري بالتفسير بالمأثور.

والثالث: الإسرائيليـــــــــــــــــــــــــات وموقف الدمنهوري منها.

والرابع: القـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــراءات في تفسير الدمنهوري.

والخامس: العقيدة في تفسير الدمنهوري.

والسادس: اللغة والبلاغة في تفسير الدمنهوري.

والسابع: التَّرجيح بين الأقوال في تفسير الدمنهوري.

والثامن: اللَّطائف في تفسير الدمنهوري.

والخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والمقترحات، والفهارس، وأهم المصادر والمراجع.

وبعد، فهذا عملي في البحث، بذلت فيه – حسب ظني– قصارى جهدي للوصول به إلى المستوى المنشود، فإن كان ما رجوت فالحمد لله وحده، والشكر له على آلائه ونعمائه، إذ لولا هو ما كان شيء، وإن كانت الأخرى فحسبي أنِّي اجتهدت، والخير قصدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

وصلى الله وسلم علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور:
ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة.

# التمهيد

## ترجمة العلامة الدمنهوري والتعريف بتفسيره المسمى بـ (الفيض العميم في معنى القرآن العظيم)

**أولًا: ترجمة موجزة للعلامة الدمنهوري:**

- **اسمه ونسبه ولقبه:**

**أحمد بن عبد المنعم بن صيام الشَّافِعِيِّ الحَنَفِيِّ المَالِكِيِّ الحَنْبَلِيِّ – هكذا كان يكتب بخطِّه– المصريِّ الشَّهير بالدَّمنهُورِي نسبةً إلى دمنهور عاصمة محافظة البحيرة الآن(١).**

**مولده: وُلد بمدينة دمنهور من أراضي مصر سنة إحدى ومائةٍ وألفٍ من الهجرة(٢).**

- **نشأته وطلبه العلم:**

**قَدِمَ الإمام الدمنهوري – رحمه الله– القاهرة وهو صغيرٌ يتيمٌ، فالتحق بالجامع الأزهر، واشتغل بالعلم، وجدَّ في تحصيله، واجتهد في تكميله، وأجازه علماء المذاهب الأربعة، وكانت له حافظة ومعرفة في فنون**

---

(١) يُنظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل المرادي (١١٧/١)، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني (٤٠٤/١)، والأعلام لخير الدين الزركلي (١٦٤/١)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣٠٣/١)، وموقع دار الإفتاء المصرية:

http://www.dar-.alifta.org/Ar/ViewScientist.aspx?ID=١٩&LangID=١

(٢) يُنظر: فهرس الفهارس (٤٠٤/١).

غريبة وتآليف، وأفتى على المذاهب الأربعة[١]، وكان يُعرف بالمَـذَاهِبِيِّ؛ لعلمه بالمذاهب الأربعة أكثر من أهلها قراءةً وفهماً ودرايةً[٢]، وله اليد الطولى في سائر العلوم منها: الكيمياء، والأوفاق، والهيئة، والحكمة، والطب، وله في كلِّ علمٍ منها تآليف عديدة[٣].

• **شيوخه:**

أخذ الشيخ الدمنهوري العلم عن أكابر علماء الأزهر الشريف، وقد ذكرهم في مقدمة ثَبَتِه المسمَّى: بـــــــــــــــ(اللَّطائف النُّوريَّة في المنح الدمنهوريَّة)، حيث قال: " اعلم أنِّي قد أخذتُ عن علماء المذاهب الأربعة، وقد ذكرتُهم على ترتيب أخذي عنهم؛ فإنَّ أول قراءتي في المذاهب كان على الشَّافعيَّة ثم الحنفيَّة ثم المالكيَّة ثم الحنابلة – رضي الله عنهم أجمعين–".أهـ[٤].

ثم عدَّ الشيخ هؤلاء الأئمة الأعلام مُبيِّنًا ما قرأه عليهم، وأخذه عنهم من علومٍ وفنون، وسأقتصر على ذكر أسمائهم فيما يلي:

فممَّنْ ذكره من شيوخه الشافعيَّة:

١ – الشيخ عبد ربه الديري، البصير.

٢ – الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عطية بن أبي الخير القاهري، البصير.

٣ – الشيخ محمد الغَمْري.

---

(١) يُنظر: عجائب الآثار للجبرتي (٣٨/٢).

(٢) يُنظر: الأعلام (١٦٤/١).

(٣) يُنظر: سلك الدرر (١١٧/١).

(٤) يُنظر: اللَّطائف النُّوريَّة في المنح الدمنهوريَّة ( من لوحة رقم ٢).

٤ – الشيخ أبو الصَّفا علي الشَّنوانيِّ.

٥ – الشيخ منصور المنوفيِّ، البصير.

٦ – الشيخ عبد الجواد بن القاسم الميدانيِّ.

٧ – الشيخ أحمد بن الخبَّازة.

٨ – الشيخ عبد الوهاب الشَّنوانيِّ.

٩ – الشيخ محمد بن منصور الأطفيحي.

١٠ – الشيخ محمد القاضي.

١١ – الشيخ عبد الرؤوف البِشْبِيشي.

١٢ – الشيخ علي الزعتريِّ.

١٣ – الشيخ سيد أحمد القرافي الحكيم.

١٤ – الشيخ عبد الفتاح الدمياطيِّ.

١٥ – الشيخ سلامة الفيوميِّ.

١٦ – الشيخ عبد الجواد المرحوميِّ.

١٧ – الشيخ محمد الشهير بالسُّحيمي.

١٨ – الشيخ هيكل الرمال.

١٩ – الشيخ عبد الدائم الأجهوريِّ.

<u>ومن شيوخه الحنفيَّة:</u>

٢٠ – الشيخ محمد بن عبد العزيز الزِّياديِّ.

٢١ – الشيخ محمد الريحاوي، الشهير بالجلبيِّ.

٢٢ – الشيخ حسام الدين الهندي.

٢٣ – الشيخ حسين أفندي، المشهور بالواغة.

<u>ومن شيوخه المالكيَّة:</u>

٢٤– الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي، الكِنْكَسي.

**٢٥ – الشيخ أحمد بن غانم القاهري، الشَّهير بالنَّفراوي.**

**٢٦ – الشيخ أحمد الشَّرفي.**

**٢٧ – الشيخ محمد الموفق المغربيِّ، التلمسانيِّ.**

**٢٨ – الشيخ محمد القسمطينيِّ، المغربيِّ.**

**٢٩ – الشيخ محمد السُّودانيِّ.**

**٣٠ – الشيخ محمد الصَّغير، المغربيِّ، الدُّوري.**

**٣١ – الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن داود الجزولي.**

**٣٢ – الشيخ محمد بن عبد الله الغيلانيِّ، الفاسي.**

**٣٣– السيد محمد بن محمد السَّلموني، الحسنيِّ.**

**٣٤ – الشيخ محمد الفاسي.**

**<u>ومن شيوخه الحنابلة:</u>**

**٣٥ – الشيخ شهاب الدين أحمد بن عوض المقدسيِّ، عليهم جميعًا سحائب الرحمة، وشآبيب المغفرة[١].**

- **<u>تلاميذه</u>: تتلمذ على يديه كثيرٌ من أهل زمانه، وكان من بركات علمه أن تخرّج على يديه علماء كثيرون، ومن بينهم:**

**١ – الشيخ أبو البهاء إبراهيم بن عبد الله الميدانيّ، الدمشقيِّ، الشافعيّ، المُتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة وألفٍ من الهجرة[٢].**

---

(١) يُنظر: اللَّطائف النُّوريَّة في المنح الدمنهوريَّة ( من لوحة رقم ٢ إلى لوحة رقم ٧).

(٢) يُنظر: سلك الدرر (١١/١)، ومقدمة تحقيق كتاب ( إيضاح المبهم من معاني السلم) ص: ١٥.

**٢ – الشيخ إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم الحنفيّ، الحلبيّ، المُتوفى في شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائة وألفٍ من الهجرة(١).**

**٣ – الشيخ أبو الفتح بن محمد بن خليل بن عبد الغني الشافعيّ، العجلونيّ الأصل، الدمشقيّ المولد، المُتوفى في ليلة الجمعة تاسع عشر شوال سنة ثلاث وتسعين ومائة وألفٍ من الهجرة(٢).**

**٤ – العلَّامة الصَّالح محمود بن أحمد بن محمد المرعشي، الحلبي، المتوفى سنة إحدى ومائتين وألفٍ من الهجرة(٣).**

**٥ – العلَّامة محمد بن علي الشنوانيّ، المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألفٍ من الهجرة(٤).**

**٦– الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتيّ، المتوفى سنة سبع وثلاثين ومائتين وألفٍ من الهجرة(٥).**

- **<u>مؤلفاته:</u>**

**ترك الشيخ الدمنهوري – عليه الرحمة – تراثًا علميًّا بلغ نحو خمسين كتابًا أو يزيد في مختلف العلوم والفنون، وقد ذكر بعض المؤلفات التي**

---

(١) يُنظر: سلك الدرر (٣٧/١)، ومقدمة تحقيق كتاب ( إيضاح المبهم من معاني السلم) ص: ١٥.

(٢) يُنظر: سلك الدرر (٦٥/١)، ومقدمة تحقيق كتاب ( إيضاح المبهم من معاني السلم) ص: ١٥.

(٣) يُنظر: فهرس الفهارس (١٠٦١/٢)، ومقدمة تحقيق كتاب ( إيضاح المبهم من معاني السلم) ص: ١٥.

(٤) يُنظر: فهرس الفهارس (١٠٧٨/٢)، ومقدمة تحقيق كتاب ( إيضاح المبهم من معاني السلم) ص: ١٥.

(٥) يُنظر: مقدمة تحقيق كتاب ( إيضاح المبهم من معاني السلم) ص: ١٥.

منَّ الله – تعالى – بها عليه في ثَبَتِه المسمَّى: بـــــــــــــــ(اللَّطائف النُّوريَّة في المنح الدمنهوريَّة)، وعدَّ منها ما يلي:

١ – المنح الوفيَّة بشرح الرياض الخليفيَّة (في علم الكلام).

٢ – حلية اللُّبِّ المصون في شرح الجوهر المكنون ( في البلاغة).

٣ – حاشية منتهى الإرادات من تحقيق عصام الاستعارات ( في البلاغة).

٤ – إيضاح المبهم من متن السُّلَّم، وهو شرح على متن السُّلم للأخضري ( في المنطق).

٥ – إيضاح المشكلات من متن الاستعارات( في البلاغة).

٦– حل المشكلات من إتحاف ذي الحاجات( في المنطق).

٧ – نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف، وهو شرح لأربع أبياتٍ من ألفية العراقي في (مصطلح الحديث).

٨ – غاية المراد من كيفية جمع الأعداد ( علم في الحساب).

٩ – الحذاقة بأنواع العلاقة ( في البلاغة).

١٠ – كشف اللِّثام عن مخدَّرات الأفهام في البسملة والحمدلة

١١ – حسن التعبير عمَّا للحرز من التكبير ( في علم القراءات).

١٢ – غنية الفقير لما للطيبة من التكبير ( في علم القراءات).

١٣ – الفتح الرَّبانيِّ بمفردات ابن حنبل الشَّيبانيِّ ( في فقه الحنابلة).

١٤ – إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد ( في علم في الحساب).

١٥ – النمط على المخمس خالي الوسط ( نظم في البلاغة).

١٦ – منع الأثيم الحائر على التمادي في فعل الكبائر (في المواعظ).

١٧ – إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين.

١٨ – القول المفيد لمعاني درة التوحيد، وهو شرح لمنظومته( في علم الكلام).

١٩ – عين الحياة في استنباط المياه ( في الجيولوجيا).

٢٠ – عقد الفرائد بما للمثلث من الفوائد( في علم في الحساب).

٢١ – الأنوار الساطعات على أشرف المربعات ( في علم في الحساب).

٢٢ – حلية الأبرار فيما في اسم (عليٍّ) من الأسرار ( في علم التصوف).

٢٣ – خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام ( في علم القراءات).

٢٤ – إقامة الحجة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة ( فتوى فقهية).

٢٥ – القول الصريح في علم التشريح ( في علم الطِّب).

٢٦ – فيض المنان بالضروري من مذهب النعمان( في فقه الحنفيَّة).

٢٧ – السِّر المألوف في علم الأوفاق والحروف.

٢٨ – شفاء الظمآن بسر يس قلب القرآن، وهو شرح لمنظومة تتعلق بسورة يس( في علم التفسير).

٢٩ – طريق الاهتداء بأحكام الإمامة والاقتداء على مذهب أبي حنيفة النعمان( في فقه الحنفيَّة).

٣٠ – كنز الجواهر فيما جرَّبته طول عمري من الفوائد الحرفيَّة وغيرها.

٣١ – الفيض العميم في معنى القرآن العظيم ( في علم التفسير).

٣٢ – القول اليسير في علاج المقعدة والبواسير( في علم الطِّب).

٣٣ – درة التوحيد(منظومة في علم التوحيد في اثنين وعشرين بيتًا).

٣٤ – تحفة الملوك في علم التوحيد والسلوك (منظومة في مائة بيت).

**٣٥ – مختصر شفاء الظَّمآن شرح سورة يس ( في علم التفسير).**

**٣٦ – التصريح بخلاصة القول الصريح في علم التشريح( في علم الطب).**

**٣٧ – إتحاف البرية بمعرفة العلوم الضرورية ( في علم الطب).**

**٣٨ – القول الأقرب في علاج لسع العقرب( في علم الطب).**

**٣٩ – حسن الإنابة في فضائل ليلة الإجابة في فضائل ليلة النصف من شعبان.**

**٤٠ – النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير.**

**٤١ – تحصيل المرام بالدعاء على الدوام.**

**٤٢ – الزهر الباسم في علم الطلاسم.**

**٤٣ – منهج السلوك في نصيحة الملوك.**

**٤٤ – الكلام السَّديد في تحرير علم التجويد.**

**٤٥ – إشراف المعارج إلى علم الزيارج[١].**

**وهناك مؤلفات أُخرى لم يذكرها الشيخ في ثَبَته، منها:**

**٤٦ – الدَّرة اليتيمة في الصنعة الكريمة ( في علم الكيمياء)[٢] .**

**٤٧ – تنوير المقلتين بضياء أوجه الوجوه بين السورتين( في علم القراءات)[٣] .**

**٤٨ – إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر في علم الحروف والأسماء[٤] .**

---

(١) يُنظر: اللَّطائف النُّوريَّة في المنح الدمنهوريَّة ( من لوحة رقم ٧ إلى لوحة رقم ٩).

(٢) يُنظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٤٦٢/٣).

(٣) المصدر السابق (٣٣٥/٣).

(٤) المصدر السابق (٦٢/٣).

٤٩- بلوغ الأرب في أسماء سلاطين العرب[١] .

٥٠- اللطائف النورية في المنح الدمنهورية[٢] ، وهو الثَبَتُ المُشار إليه فيما سبق، وقد ذكر فيه أسماء شيوخه، وما أخذه عنهم، وإجازاتهم له، وبعض مؤلفاته.

- **أخلاقه ومنزلته:**

" كان الشيخ الدمنهوري – رحمه الله – كريماً جواداً في ماله يبذله لكلِّ قاصدٍ، وكان من عادته الجلوس للتدريس بمسجد الإمام الحسين بن علي – رضي الله عنهما– في شهر رمضان، وكان معروفًا بين تلاميذه وزملائه من العلماء أنَّه لا يضع علمه في غير موضعه، وإنَّما ينتقي مَنْ يتعلم على يديه. وكان – رحمه الله– وحده أُمَّةً في العلم والفضل ورِفْعة المقام، ولمَّا زار مكة المكرمة حاجًّا سنة ١١٧٧هـ، استُقبل أعظم الاستقبال، فأتى حاكم مكة وعلماؤها لاستقباله، فكان الاستقبال كريمًا يليق بمكانة الإمام الدمنهوري وشخصه، وحين عودته من الحج إلى مصر، استقبله الناس بنفس الحفاوة التي لقيها في مكة المكرمة، ومدحه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة يُهنِّئه فيها بالعودة، فقال:

لَقَدْ سُرِرْنَا وَطَابَ الوَقْتُ وَانْشَرَحَتْ ** صُدُورُنَا حَيْثُ صَحَّ العَودُ لِلْوَطَنِ

فَأَنْتَ أَمْجَدُنَا، وَأَنْتَ أَرْشَدُنَا ** وَأَنْتَ أَحْمَدُنَا فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ

وأجلَّه (علي بك الكبير)، وكان يجلس إلى دروسه، وكان الإمام الدمنهوري –رحمه الله – مهيباً لدى أمراء المماليك، فلما نشبت الفتنة بين زعماء المماليك وأتباعهم من طائفتي (العلوية والمحمدية) فرَّ

(١) المصدر السابق (١٩٥/٣).

(٢) المصدر السابق (٤٠٦/٤).

(حسن بك الجداوي) من زعماء العلوية أمام مطارديه، فلجأ لبيت الشيخ الدمنهوري، فلم يقدر أحد على اقتحام بيته حتى أجاره (إبراهيم بك). وكان لا يعود من دَرْسه إلا في وقت متأخرٍ من الليل، ويحرص على صلاة الفجر، وتحدَّى علماءَ عصره بما كان يطْرَحُ من أسئلة معجزة، ثم يقوم بالإجابة عنها، مما جعل (علي بك الكبير) يتخذه أستاذًا ويستشيره في كثير من أمور الدولة"(١).

- **ثناء العلماء عليه:**

قال عنه العلامة أبو الفضل المرادي صاحب سلك الدرر: " الشيخُ، الإمامُ، العلَّامةُ، الأوحدُ، آيةُ الله الكبرى في العلوم والعرفان، المُفنَّن في جميع العلوم معقولًا ومنقولًا". أهـ(٢).

وقال عنه الشيخ التاوُدي في فهرسته: " بحرٌ لا ساحل له، وشيخٌ ما لقيت مثله". أهـ(٣).

وقال فيه الأديب المؤرخ أبو الرَّبيع الحوات: " أعلم أهلِ عصره بالديَّار المصريَّة في جميع الفنون النقليَّة والعقليَّة". أهـ(٤).

وقال عنه الحافظ مرتضى الزبيدي في ( ألفية السنَّد) له:

"إمَامُ أَهْلِ العَصْرِ فِي المَعَارِفِ ***** علَّامَةُ الوَقْتِ مُجِيْرِ الخَائِفِ
نِيطَتْ بِهِ رَغْبَةُ كُلِّ رَاغِبِ ***** فِي فَهْمِ فِقْهِ سَائِرِ المَذَاهِبِ

---

(١) يُنظر: موقع دار الإفتاء المصرية:
http://www.dar-
.alifta.org/Ar/ViewScientist.aspx?ID=١٩&LangID=١
(٢) سلك الدرر(١١٧/١).
(٣) يُنظر: فهرس الفهارس (٤٠٤/١).
(٤) المصدر السابق.

وَكَمْ لَهُ مِنْ كُتُبٍ مُؤَلَّفَهْ ***** فِي كُلِّ فَنٍّ قَدْ غَدَتْ مُشَرِّفَهْ

قال في شرحها: " كان يكتب تحت اسمه بعد الشافعيِّ: الحنفيِّ المالكيِّ الحنبليِّ، استجاز بذلك من شيوخه". أهـ[١].

- **تولِّيه مشيخة الأزهر:**

تولَّى مشيخة الجامع الأزهر سنة اثنين وثمانين ومائةٍ وألفٍ من الهجرة بعد وفاة عبد الرؤوف السجيني– رحمهما الله –[٢].

- **وفاته:**

تُوفي الشيخ الدمنهوري – رحمه الله – يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجب سنة اثنين وتسعين ومئة وألف من هجرة سيد البشر – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الموافق الرابع من أُغسطس سنة ثماني وسبعين وسبعمائة وألفٍ من الميلاد، في منزله ببولاق، وصُلِّي عليه بالجامع الأزهر الشريف في مشهدٍ حافلٍ مهيبٍ، ودُفن بالبساتين[٣]، رحم الله الشيخ الدمنهوري، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، ونفع المسلمين بعلمه.

---

(١) يُنظر: ألفية السَّند للزبيدي ص: ١١٨، وفهرس الفهارس (٤٠٤/١).

(٢) هو أبو الجود عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد السجيني الشافعي (١١٥٩ – ١١٨١هـ)، ووقد تولَّى المشيخة سنة ( ١١٨١هـ). يُنظر: موقع دار الإفتاء المصرية:

http://www.dar-alifta.org/Ar/ViewScientist.aspx?ID=١٩&LangID=١.

(٣) يُنظر: المصدر السابق.

**ثانياً: التعريف بتفسير الدمنهوري المسمى بـــــــــ" الفيض العميم في معنى القرآن العظيم":**

- **اسم التفسير، ونسبته إلى الدمنهوري:**

**كُتب على صفحة الغلاف من مخطوطة المكتبة الأزهرية: ( تفسير الدمنهوري المسمَّى بالفيض العميم في معنى القرآن العظيم) ، كما نصَّ الدمنهوري – عليه الرحمة – في مقدمته على تسمية تفسيره بقوله: " وقد سمَّيتُ هذه العجالة بالفيض العميم في معنى القرآن العظيم". أهـ[١]. وقد ثبتت نسبة هذا التفسير إلى الدمنهوري – رحمه الله – بعدة أُمورٍ من أهمِّها ما يلي:**

**١ – عدَّه الدمنهوري نفسه المُؤَلَّفَ الحادي والثلاثين من جملة مؤلفاته في ثبته المسمَّى: (اللَّطائف النوريَّة في المنح الدمنهوريَّة)[٢] .**

**٢– ذكره من جملة مؤلفات الدمنهوري: الجبرتيُّ في تاريخ عجائب الآثار، وخير الدين الزركلي في كتابه الأعلام[٣].**

- **نسخه المخطوطة والمطبوعة:**

**أولًا: النسخ الخطيَّة:**

**١– نسخة بخط المؤلف في مكتبة عارف حكمت – المدينة المنَّورة برقم (١٤٧/ ٢٢٨)، وفي آخره نبذة عن مؤلفات الدمنهوري.**

---

(١) الفيض العميم ص: ٢٩.

(٢) يُنظر: اللَّطائف النوريَّة في المنح الدمنهوريَّة لوحة رقم (٨، ٩).

(٣) يُنظر: عجائب الآثار (٤٢/٢)، والأعلام (١٦٤/١).

٢ – نسخة بمكتبة راغب محمد باشا باستانبول – تركيا، رقم الحفظ (٢٠٨)، عدد الأوراق(١١٠)، الناسخ : علي بن محمد المنوفي.

٣ – نسختان بمكتبة مدينة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، أولهما برقم الحفظ:(١٣١١)، وثانيهما برقم الحفظ:(٥٩٧ h).

٤ – نسخة بدار الكتب المصرية القاهرة – مصر، رقم الحفظ:(٥٧/١).

٥ – نسخة بالمكتبة الأزهرية القاهرة – مصر، رقم الحفظ:( [٢٧٠] ٤٤٧٨، [١٧١٣] زكي ٤٠٥٧٩).

ثانيًا: النسخ المطبوعة:

طُبع هذا التفسير سنة ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ضمن سلسلة: ( تراث الأزهريين) بمكتبة كشيدة للنشر والتوزيع القاهرة – مصر، تقديم وتحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم حامد.

- الباعث على تأليفه والغرض منه:

درَّس الشيخ – طيَّب الله ثراه – طلَّابه تفسير سورٍ قصارٍ من أول سورة الضُّحى إلى آخر سورة الناس، فسأله بعضهم أن يكتب في ذلك كتابًا ينتفع به عوامُّ الناس ممَّنْ يحفظ هذه السُّور، فأجابه الشيخ إلى ما سأل، وكتب هذا السِّفر القيِّم، وأفصح عن هذا الباعث في مقدمته، فقال: "لمَّا أُتيح لي في غابر الزمان، قراءة تفسير بعض سور من القرآن، من أول الضُّحى إلى آخر سورة الناس، وحصل للطلبة بذلك كمال الاستئناس، التمس منِّي بعضهم أن أكتب على ذلك المرام، كتابة وسطًا ينتفع بها غالبُ العوامِّ، لكثرة مَنْ يحفظ هذه السُّور القصار، فيحصل لهم ببيان معناها الفوائد الغزار؛ فأجبته وإن كنتُ لستُ أهلًا لذلك، ولا ممَّنْ له قدرةٌ على سلوك تلك المسالك؛ لأنَّ معاني القرآن العظيم بحرٌ عميقٌ، لا يهتدي لبعضها إلا مَنْ تحقَّق بكمال التوفيق، غير أنَّ اعتمادي على

**مَنْ بيده المواهب السَّنيَّة، هو الذي أباح لي التوجه تلقـــاء مـــدين هـــذه الأُمنية". أهـــ[١].**

- **طريقة الدمنهوري في تفسيره:**

**أعني بالطريقة هنا: الناحية الشكلية التي ترتسم في مخيلة القارئ بعد قراءته تفسير الفيض العميم[٢]، ويُمكن إجمالها فيما يلي:**

**١ – قدَّم الدمنهوري لتفسيره بمقدمةٍ جليلة في علـــوم القـــرآن الكـــريم تشتمل على فوائد ينتفع بها طالب العلم ضمَّنها المسائل التالية:**

- **معنى التفسير والتأويل، والفرق بينهما.**
- **موضوع علم التفسير واستمداده، والغرض منه.**
- **فضل القرآن وتلاوته وتعليمه، والتحذير من نسيانه.**
- **نزول القرآن من اللوح المحفوظ.**
- **التكبير عند سورة الضحى ( حكمه، موضعه، صيغته).**
- **أقسام القراءات، وبيان المتواتر منها والشاذ.**
- **تعريف السُّورة، وبيان أنَّ ترتيبها كالآيات توقيفيٌّ[٣].**

---

(١) فالطريقة هنا تُعنى بالدراسة الوصفية لتفسير شيخنا الدمنهوري من حيث المظهر بشكلٍ عامٍ دون التعرض لتفصيل الجزئيات، أمَّا الطريقة الموضوعية التي انتهجها الدمنهوري في معالجة قضايا التفسير المختلفة مع إبراز رأيه وتحديد موقفه تُجاهها، فقد تكفَّل ببيانها وتجليتها هذا البحث في نظراته الثمانية. يُنظر في التفرقة بين المنهج والطريقة: ابن جزي ومنهجه في التفسير للدكتور/ علي محمد الزبيري (٣٣٨/١).

(٢) ينظر: الفيض العميم ص: ٣٠ – ٤٣.

(٣) ينظر: الفيض العميم ص: ٣٠ – ٤٣.

**٢ – رتَّب تفسيره – كغيره من المفسِّرين المشهورين– حسب ترتيب المصحف الشريف، وابتدأه من أول سورة الضُّحى إلى آخر سورة الناس.**

**٣ – سلك في تفسيره مسلك التفسير التحليليِّ حيث مضى مع النظم القرآني في القدر الذي فسَّره آيةً بعد آيةٍ وسورةً بعد سورةٍ مُبيِّنًا مكيَّة السُّورة ومدنيتها، والناسخ والمنسوخ منها، وعدد آياتها، وكلماتها، وحروفها، متتبعًا بالشرح معاني الغريب من ألفاظها، وإعراب المشكل من كلماتها، ذاكرًا ما تضمنته المعاني في جملها وما ترمي إليه في تراكيبها، باحثًا عن المناسبات بين أجزائها، مستعينًا على الوصول إلى أهدافها ومقاصدها بذكر أسباب النزول، وما نُقل عن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبعض القراءات الواردة فيها، مازجًا ذلك تارةً بما تستنبطه قريحته، وتُمليه عليه ثقافته، وتارةً بالأبحاث اللغوية[١].**

**٤ – قسَّم تفسيره لكلِّ سورةٍ أربعة أقسامٍ: القسم الأول: جعله في بيان معاني غريب ألفاظها، وسمَّاه بـــــــــــ(المبادئ)، ورمز له بحرف الياء (ي). والقسم الثاني: في إعراب ما أُشكل إعرابه من كلماتها، وسمَّاه بـــــــــــ(اللَّواحق)، ورمز له بحرف الياء (ق). والقسم الثالث: في تفسير آياتها، وسمَّاه بـــــــــــ(المقاصد)، ورمز له بحرف الدال (د). وأمَّا القسم الرابع: ففي بيان بعض القراءات الواردة فيها، وسمَّاه بـــــــــــ(الخواتم)، ورمز له بحرف الميم (م)، وقد أبان**

---

(١) أفدتُ في بيان المسلك التحليلي من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للشيخين الجليلين: الأستاذ/ أحمد السيد الكومي، والأستاذ الدكتور/ محمد أحمد يوسف القاسم ص: ١٠.

طريقته هذه في المقدمة بقوله: "وذكرتُ في أول الكلام معاني غريب الألفاظ، وأعربتُ ما أشكل إعرابه على بعض الحفاظ، ثم ذكرتُ تفسير المركَّبات، مُتْبعًا له ببيان بعض القراءات، مُسمِّيًا بذلك بالمبادي، واللَّواحق، والمقاصد، وبالخواتم؛ لتسهل المراجعة على القاصد، مُشيرًا لكلٍّ واحدٍ بآخره من الحروف، كالياء المثناة من المبادي، فآخر البقية معروفٌ". أهـ[1].

٥ – انتهج الدمنهوري في تفسيره منهج الاختصار وعدم التطويل مع تلخيصٍ وجمعٍ للأقوال دون استطرادٍ وإسرافٍ، فجاء تفسيره خاليًا من التطويل الممل والإيجاز المخل.

٦ – ختم تفسيره المبارك بخاتمةٍ انتظمت خمسة فصولٍ، جعل الفصل الأول منها في « فضل تلاوة القرآن والترغيب فيه»، والثاني: في « ما يُحذَّر منه حامل القرآن من الرياء وغيره»، والثالث: في «الحالة التي ينبغي أن يكون عليها حامل القرآن»، والرابع: « فيما يَكْمُلُ به حال طالب القرآن»، والخامس: في « صفة مَنْ يُقرأُ عليه ويُؤخذُ عنه»[2].

- <u>مصادر الدمنهوري في تفسيره:</u>

أكثر العلامة الدمنهوري النقل عن المفسِّرين السَّابقين، ولم يُصرِّح بالمصادر التي نقل منها، وأخذ عنها إلا نادرًا لأجل الاختصار وعدم التطويل الذي انتهجه لنفسه، وقال في مقدمته: " وقد اقتصرتُ على المشهور من أقوال المفسِّرين، وتركتُ العزو غالبًا – للاختصار– إلى

(١) الفيض العميم ص: ٢٨. وقد عنون المحقق الأقسام الأربعة بأسمائها كاملة، لا بمجرد الحروف التي ترمز إليها - كما هو صنيع الشيخ الدمنهوري-مع توضيح بين قوسين لعنوان كلّ قسمٍ. يُنظر: هامش رقم (٣).
(٢) ينظر: الفيض العميم ص: ٢٤٨ – ٢٥٩.

الأئمة المعتبرين". أهـ[١]. وربما ذكر المصدر ومُؤلِّفَه وهو القليل النادر، وكثيراً ما كان يغفل ذلك، وربما ذكر المُؤلِّفَ دون مصدره وهو الكثير الغالب، وبالرجوع إلى تلك المصادر التي أخذ منها، ونقل عنها وجدتُه أحياناً ينقل العبارة بنصها وحروفها، وكثيراً ما كان يتصرف فيها بتقديمٍ وتأخيرٍ وحذفٍ واختصارٍ.

وقد اتَّسم نقله عن السابقين بمميزاتٍ من أهمِّها ما يلي:

١ – حُسن الاختيار لما ينقله، فكان يتخيَّر النص الذي ينقله بدقةٍ وعنايةٍ.

٢ – النقل عن أئمة التفسير المعتبرين من أمثال: الفخر الرازي، والزمخشري، والقرطبي وغيرهم.

٣ – الترجيح بين الأقوال، فلم يقف موقفًا سلبيًّا تُجاه ما ينقله، وإنَّما برزت شخصيته العلميَّة بالترجيح والتنقيح، والتضعيف والتصحيح، والتوجيه لما يختاره، وسيظهر ذلك جليًّا في النظرة السابعة من هذا البحث، فانتظره.

ومن أهمِّ التفاسير التي استقى منها مادته العلميَّة أكثر من غيرها: تفسير الفخر الرازي المسمَّى بـــــــــــ (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير): حيث اعتمد عليه الدمنهوري اعتماداً كبيراً، وصرَّح بالنقل عنه (٣٢) مرة[٢]، وبالمقابلة بين التفسيرين وجدتُ أنَّ ما كتبه الدمنهوري تلخيصاً محرراً لما كتبه الفخر الرازي.

---

(١) الفيض العميم ص: ٢٨.

(٢) يُنظر: الفيض العميم ص: ٥٢، ٥٧، ٩٤، ٩٨، ١١٢، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٦.

ومن التفاسير التي صرَّح بالنقل عنها- كذلك -: تفسير الزمخشري المسمَّى بـــــــــ (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل): صرَّح بالأخذ منه ست مرات(١).

ومنها: نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور للبقاعي: صرَّح بالنقل عنه أربع مرات(٢)، مرتين يذكره باسمه، ومرتين يقول: " قال في المناسبات".

ومنها: تفسير القرطبي المسمَّى بـــــــــ(الجامع لأحكام القرآن): صرَّح بالنقل عنه مرتين(٣)، ومثلها عن (البحر المحيط) لأبي حيان(٤)، كما صرَّح بالأخذ عن (أحكام القرآن) لابن العربي المالكي مرةً واحدةً(٥).

وبذلك أكون قد انتهيتُ ممَّا أردتُ بيانه وذكره في هذا التمهيد من التعريف بالعلَّامة الدمنهوري، وتفسيره الفيض العميم، وسأشرع الآن – بعون الله وتوفيقه – في بيان منهجه الذي سلكه في تفسيره هذا، مُسلِّطًا الضوء على أهمِّ الأسس والمرتكزات التي اعتمد عليها في إبراز هدايات القرآن، والكشف عن معانيه، والوقوف على دقائقه وأسراره، مُوضِّحًا آراءه ومواقفه حيال قضايا التفسير المختلفة.

---

(١) يُنظر: الفيض العميم ص: ٨٥، ١٠٠، ١٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٦.

(٢) يُنظر: الفيض العميم ص: ٥٠، ٥٢، ١٤٦، ٢٤٢.

(٣) يُنظر: الفيض العميم ص: ٧٧، ٢٠٦.

(٤) يُنظر: الفيض العميم ص: ٨٥، ٢٠٦.

(٥) يُنظر: الفيض العميم ص: ٧٧.

## المطلب الأول: علوم القرآن في تفسير الدمنهوري

لمَّا كان علم التفسير هو عمل المنتهين من أجلَّة العلماء؛ كان لابدَّ لمَنْ يتعرَّض لتفسير كتاب الله من أن يحصِّل جملةً من العلوم العقليَّة والنقليَّة واللُّغويَّة والشَّرعيَّة حتى يُشرع له الإقدام على هذه المهمة الخطيرة والكبيرة.

ويأتي على رأس هذه العلوم وفي مقدمتها: العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم كمعرفة نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وعامِّه وخاصِّه، ومطلقه ومقيَّده، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشُّبه عنه ونحو ذلك.

فإنَّ معرفة المفسِّر ودرايته بهذه العلوم تُعينه على فهم كتاب الله والوقوف على أسراره ودقائقه، كما أنَّها تعصمه من الخطأ في التفسير والاستنباط.

وقد تعرَّض العلامة الدمنهوري – عليه الرحمة – في تفسيره – كغيره من المحققين من المفسِّرين – لكثيرٍ من مسائل علوم القرآن، فكتب مقدمةً جليلةً قبل الخوض في تفسيره – كما فعل كثيرٌ من المفسِّرين من أمثال ابن جرير الطبري، وأبي عبد الله القرطبي، وابن جزي الكلبي – عليهم جميعًا سحائب الرحمة – بيَّن فيها بأوجز عبارة وألطف إشارة المسائل التالية:

- معنى التفسير والتأويل، والفرق بينهما.
- موضوع علم التفسير واستمداده، والغرض منه.
- فضل القرآن وتلاوته وتعليمه، والتحذير من نسيانه.
- نزول القرآن من اللوح المحفوظ.

- **التكبير عند سورة الضحى ( حكمه، موضعه، صيغته).**
- **أقسام القراءات، وبيان المتواتر منها والشاذ.**
- **تعريف السُّورة، وبيان أنَّ ترتيبها كالآيات توقيفيٌّ[١].**
- **كما عُني – طيَّب الله ثراه – عنايةً فائقةً أثناء تفسيره بكثيرٍ من تلك المسائل أيضاً.**

**وقد آن الأوان لأسوق لك – أيها القارئ الكريم – أهمَّ هذه المباحث المتعلقة بالقرآن التي سطَّرها قلم الشيخ؛ لترى معي مدى إتقانه لهذه العلوم، واستفادته منها في الكشف عن مراد الله – تعالى – من كلامه ممَّا يدلُّ دلالةً واضحةً على سعة علمه، وكثرة اطِّلاعه، ورسوخ قدمه، وعلوِّ كعبه في علم التفسير وغيره من العلوم.**

## (١) عنايته بالمكي والمدني[٢]:

**من علوم القرآن التي لا غنى لمفسِّر كتاب الله عن معرفتها والإحاطة بها: علم المكيِّ والمدنيِّ؛ إذ معرفة الأحوال التي احتفَّت بنزول القرآن**

---

(١) ينظر: الفيض العميم ص: ٣٠ – ٤٣.

(٢ ) التعريف الأصحُّ الأشهر للمكيّ والمدنيّ: أنَّ المكيَّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيَّ ما نزل بعد الهجرة ولو كان نزوله في مكة. وهذا التعريف ضابط وحاصر لا تخرج عنه آيةٌ من آيات القرآن الكريم، وعليه فإنَّ آية: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: ٣] مدنيَّة مع أنَّها نزلت يوم الجمعة بعرفةفي حجة الوداع، وكذلك آية: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا } [ النساء: ٥٨] مدنيَّة مع أنَّها نزلت في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم؛ لأنَّ هاتين الآيتين نزلتا بعد الهجرة. يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (المبحث السابع: في المكي والمدني من القرآن الكريم) (١/١٩٤، ١٩٥).

لها أثرٌ بالغٌ في فهمه وتفسيره، حتى صرحوا بأنَّه لا يحلُّ لمَنْ ابتعد عن علمها أن يتكلم في تفسير القرآن الكريم(١).

وقد عُني شيخنا الدمنهوري – رحمه الله – ببيان المكيِّ والمدنيِّ في تفسيره حيث يفتتح تفسيره للسُّورة التي يقوم بتفسيرها ببيان كونها مكيَّةً أو مدنيَّةً، وإذا كانت السُّورة من المختلف في مكيَّتها أو مدنيَّتها، فله معها –حينئذٍ– ثلاثة مسالك:

الأول: أن يذكر القول الرَّاجح لديه مصدِّرًا إياه، ومُؤخِّرًا القول الآخر مع حكايته بصيغة التمريض الدَّالة على ضعفه، كما هو صنيعه عند تفسير سورة الإخلاص حيث قال: " مكيَّة، وقيل: مدنيَّة".أهـ(٢). وجمهور العلماء على أنَّها مكيَّة، ويرى بعضهم أنَّها مدنيَّة، والأول أرجح؛ لأنَّها جمعت أصل التوحيد، وهذا المعنى غالب في السُّور المكيَّة(٣).

وكذلك عند تفسيره سورة الفلق قال: " مدنيَّة، وقيل: مكيَّة".أهـ(٤).

وممَّنْ رجَّح – كذلك – كونها مدنيَّة الإمام السيوطي، مستدلًا على ذلك بنزولها ولاحقتها –سورة النَّاس– في قصَّة سحر لبيد بن الأعصم النبيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وقد حدثت بالمدنية(٥). وذهب العلامة الألوسي – عليه الرحمة – إلى أنَّه الصحيح الذي لا يُلتفت لغيره، وذلك حيث يقول: "مكيَّةٌ في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب

---

(١) ينظر: علوم القرآن الكريم للشيخ نور الدين عتر ص:٥٧.

(٢) الفيض العميم ص:٢٢٢.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط (٥٣٩/١٥).

(٤) الفيض العميم ص:٢٣١.

(٥) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن (النَّوْعُ الْأَوَّلُ: فِي مَعْ رِفَةِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ) (٥٥/١).

**عن ابن عباس، مدنيَّةٌ في قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقتادة وجماعة، وهو الصَّحيح؛ لأنَّ سبب نزولها سحر اليهود.....، وهم إنَّما سحروه – عليه الصَّلاة والسَّلام– بالمدينة كما جاء في الصِّحاح، فلا يُلتفت لمَنْ صحَّح كونها مكيَّة".أهـ[١].**

**أمَّا العلامة ابن عاشور فصحَّح القول بأنَّها مكيَّة؛ معلِّلًا أنَّه من رواية كريب عن ابن عباسٍ، وهي مقبولة بخلاف القول بأنَّها مدنيَّة، فإنَّه من رواية أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ وفيها متكلم[٢]. ثمَّ ردَّ القول القاضي بأنَّها نزلت بسبب أنَّ لبيد بن الأعصم سحر النبيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قائلًا: " وليس في «الصِّحاح» أنَّها نزلت بهذا السَّبب".أهـ[٣]. وهو كما قال.**

**الثاني: أن يقتصر على ذكر الرأي الرَّاجح فقط دون غيره، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير سورة البيِّنة حيث قال: " مدنيَّة في قول الجمهور".أهـ[٤].**

---

(١) روح المعاني (٥١٧/١٥).

(٢) قلتُ: وهو كما قال؛ فإنَّ أبا صالح – واسمه باذام ويُقال: باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب - ضعيفٌ. قال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير وما أقل ماله من المسند، وفي ذلك التفسير ما لم يتابعه عليه أهل التفسير ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه. وقال الجوزقاني: إنَّه متروك. ونقل ابن الجوزي عن الأزدي أنَّه قال كذاب. وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه. يُنظر: التقريب ص:١٢٠، والتهذيب (٣٦٤/١).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير (٦٢٤/٣٠).

(٤) الفيض العميم ص: ١١٠.

**قلتُ: قد لخَّص العلامة ابن عاشور الأقوال في السُّورةِ الكريمة مُرجِّحًا ما اقتصر عليه الشيخ الدمنهوري – عليهما الرحمة –، فقال : " واختلف في أنَّها مكيَّة أو مدنيَّة قال ابن عطية: الأشهر أنَّها مكيَّة وهو قول جمهور المفسرين. وعن ابن الزبير وعطاء بن يسار هي مدنيَّة[١]. وعكس القرطبي فنسب القول بأنَّها مدنيَّة إلى الجمهور وابن عباس، والقول بأنَّها مكيَّة إلى يحيى بن سلام[٢]. وأخرج ابن كثير عن أحمد بن حنبل بسنده إلى أبي حبَّة البدريَّ قال: « لمَّا نزلت: { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}[٣] إلى آخرها قال جبريل: يا رسول الله، إنَّ الله يأمرك أن تُقرئها أُبيًّا» الحديث[٤]، أي وأُبيّ من أهل المدينة.**

**وجزم البغوي[٥] وابن كثير بأنَّها مدنيَّة[٦]، وهو الأظهر لكثرة ما فيها من تخطئة أهل الكتاب، ولحديث أبي حبَّة البدريِّ، وقد عدَّها جابر بن زيد في**

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٥٠٧/٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/٢٠).

(٣) البينة: ١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٢/٢٥)، رقم (١٦٠٠١)، وقال محققوه: " صحيح لغيره، وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لضعف علي بن زيد: وهو بن جدعان، وبقية رجاله ثقات، رجال الصحيح". أهـ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٢٣/٢٢) رقم (٨٢٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب المناقب- باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (٣١١/٩، ٣١٢) رقم (١٥٧١٧)، وقال: " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ ". أهـ.

(٥) في نسبة العلامة ابن عاشور الجزم بمدنيَّة سورة البيِّنة للبغويّ نظرٌ؛ فقد جزم – رحمه الله - بأنَّها مكيَّة. ينظر: معالم التنزيل (٤٩٣/٨).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٨).

عداد السُّور المدنيَّة".أهـ[١]. وممَّنْ رجَّح القول بمدنيَّتها أيضًا: العلامة الألوسي، وشيخ أشياخنا الدكتور محمد سيد طنطاوي – رحمهما الله تعالى–[٢].

ومن أمثلة ذلك أيضًا: ما ذكره عند تفسير سورة قريش حيث قال: " مكيَّة".أهـ[٣].

وهي كذلك عند جماهير العلماء، وهو الأصحُّ؛ لأنَّه المأثور عَن ابْن عَبَّاس[٤]، وعن الكلبي والضحاك أنَّها مدنيَّة[٥].

الثالث: أن يتوقف، فلا يذكر فيها قولًا؛ ولعل السَّبب في ذلك – والله أعلم – أنَّه لم يترجَّح لديه قولٌ على آخر في مكيَّتها أو مدنيَّتها، ومن أمثلة ذلك: ما فعله عند تفسير سورة العاديات، توقف فيها، وما زاد على أن قال: "مختلفٌ فيها".أهـ[٦]. وجمهور المفسَّرين – كذلك– على حكاية الخلاف فيها دون ترجيح قولٍ على آخر، ومن هؤلاء المفسِّرين: الإمام ابن الجوزي – طيب الله ثراه –، وذلك حيث يقول: "وفيها قولان: أحدهما: أنَّها مكيَّة، قاله ابن مسعود، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنيَّة، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل". أهـ[٧]. ومنهم كذلك:

---

(١) التحرير والتنوير(٤٦٨/٣٠).

(٢) يُنظر: روح المعاني (٤٢٤/١٥)، والتفسير الوسيط (٤٦٧/١٥).

(٣) الفيض العميم ص: ١٧٩.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٣٤/٨) وعزاه لابن مرْدَوَيْه.

(٥) ينظر: زاد المسير (٤٩٣/٤)، وروح المعاني (٤٧٠/١٥)، والتحرير والتنوير (٥٥٣/٣٠).

(٦) الفيض العميم ص: ١٣٣.

(٧) زاد المسير (٤٨٠/٤).

**العلامة القرطبي، والشيخ أبو حيان، والإمام الألوسي، وعلامة العصر الحديث: الطاهر بن عاشور- عليهم جميعاً سحائب الرحمة[١].**

**وقد لاحظت عليه – طيب الله ثراه- في هذا الباب أنَّه:**

**أولًا: يُتابع رأي جمهور المفسِّرين في بيانه مكيِّة السُّور أو مدنيَّتها في الأعمِّ الأغلب، ولم يُخالف قولهم إلا في القليل النادر، ومن أمثلة ما خالفهم فيه:**

**ما ذكره عند تفسيره سورة الزلزلة؛ حيث رجَّح القول بأنَّها مدنيَّة واقتصر عليه[٢]، وهو قول مقاتل وقتادة، وفي قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعطاء والضحاك: أنَّها مكيَّة[٣].**

**قلتُ: وهو الصَّحيح؛ لأنَّ حديثها عن البعث وإثبات وقوعه، وما يحدث بعده من أهوال، ومجازاة كلِّ إنسان عمَّا قدَّمه في دنياه من أعمال، وهذا ممَّا تتميَّز به السُّور المكيَّة وتختصُّ به؛ ولذا اقتصر الإمامان البغوي وابن كثير – عليهما الرحمة – على كونها مكيَّة، ولم يذكرا خلافًا في ذلك، وصحَّحه العلامة ابن عاشور، وشيخ أشياخنا الدكتور محمد سيد طنطاوي – رحمهما الله تعالى[٤].**

---

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥٣/٢٠)، والبحر المحيط (٥٢٧/١٠)، وروح المعاني (٤٤١/١٥)، والتحرير والتنوير (٤٩٧/٣٠).

(٢) الفيض العميم ص: ١٢٥.

(٣) يُنظر: البحر المحيط (٥٢١/١٠)، وروح المعاني (٤٣٣/١٥)، والتحرير والتنوير(٤٨٩/٣٠).

(٤) يُنظر: معالم التنزيل (٤٩٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٨)، والتحرير والتنوير(٤٨٩/٣٠)، والتفسير الوسيط (٤٧/١٥).

**وما ذكره عند تفسيره سورة الماعون؛ حيث اقتصر- رحمه الله – على القول القاضي بأنَّ نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر بالمدينة، فمن أولها إلى قوله: { الْمِسْكِينِ } نزل بمكة في العاص بن وائل السَّهميِّ، ومن قوله:{ فَوَيْلٌ } إلى آخرها نزل بالمدينة في عبد الله بن أُبيِّ بن سلول رأس المنافقين(١). وهذا قول هبة الله القاسم بن سلامة(٢)، أمَّا الجمهور فعلى القول بأنَّها مكيَّةٌ بتمامها، وجزم بمكيَّتها: البغوي، والرازي، وابن كثير(٣)، ونسبه للجمهور: ابن الجوزي، وأبو حيان، والألوسي(٤)، ورُوي عن ابن عباس وقتادة والضحاك: أنَّها مدنيَّة(٥).**

**قلتُ: وما اختاره شيخنا الدمنهوري تبعًا للقاسم بن سلامة هو الأرجح – والله أعلم- من وجهة نظري؛ لأنَّ السُّورة الكريمة في نصفها الأول تتحدَّث عن التعجيب من حال المشركين، الذين كذَّبوا بالبعث، واعتدوا على اليتامى، ومنعوا غيرهم من بذل الطعام للبائس المسكين، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ هذا الإنسان المكذِّب بالدين قد بلغ النهاية في السوء والقبح، فهو لقسوة قلبه لا يعطف على يتيم، بل يحتقره ويمنع**

---

(١) الفيض العميم ص:١٨٥.

(٢) يُنظر: الناسخ والمنسوخ ص: ٢٠٥، ونسبه إليه: ابن الجوزي في زاد المسير (٤٩٥/٤ )، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٥٢/١٠)، والألوسي في روح المعاني (٤٧٤/١٥)، وابن عاشور في التحرير والتنوير(٥٦٣/٣٠).

(٣) يُنظر: معالم التنزيل (٥٤٩/٨)، ومفاتيح الغيب (٣٠١/٣٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤٦٧/٨).

(٤) يُنظر: زاد المسير (٤٩٥/٤ )، والبحر المحيط (٥٥٢/١٠)، وروح المعاني (٤٧٤/١٥).

(٥) تُنظر: المراجع السابقة.

عنه كلَّ خير، وهو لخبث نفسه لا يفعل الخير، ولا يحضُّ غيره على فعله، وهذا أليق بالمشرك كما لا يخفى. وفي نصفها الثاني تتحدَّث عن التحذير من ترك الصَّلاة، وعدم المبالاة بها، والإخلال بشروطها وأركانها وسننها وآدابها، والتحذير كذلك من أدائها رياءً وخداعًا، وهذا أليق بالمنافقين، كما قال- تعالى- في وصفهم: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُنَ النَّاسَ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}[1]، والنفاق مرضٌ لم يظهر إلا في المدينة بعد الهجرة، ولهذا السَّبب – والله أعلم – استظهر العلامة ابن عاشور هذا القول في تحريره[2].

ثانيًا: لم يُصرح بترجيح قولٍ على آخر عند حكايته الخلاف إلا مرةً واحدة عند تفسير سورة الناس، حيث قال: " مدنيَّة وقيل: مكيَّة، والأول أصح".أهـ[3].

ثالثًا: لم يذكر ما يُدلِّل به على مكيِّة السُّورة أو مدنيَّتها – لا سيما عند ترجيح قولٍ على آخر- من الأمارات والضوابط التي وضعها العلماء للتمييز بين المكي والمدني؛ ولعل السَّبب في ذلك ما انتهجه لنفسه من الاختصار وعدم التطويل، والله أعلم.

## (٢) موقفه من النسخ[4]:

---

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير(٥٦٣/٣٠).

(٣) الفيض العميم ص: ٢٤٢.

(٤) يُطلق النسخ في اللغة على عدة معانٍ تدور بين:

الإزالة: يُقال: نسَخَت الشمسُ الظِّلَّ وَانْتَسَخَتْهُ أَزالته، وَالْمَعْنَى أَذهبت الظِّلَّ وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ.

**من الواضح الجليِّ أنَّ العلامة الدمنهوري – عليه الرحمة – يرى ما يراه العلماء – رحمهم الله – من جواز النسخ في القرآن عقلًا ووقوعه سمعًا[١]، يدلُّ على ذلك أمران:**

**أولاهما: قوله في المقدمة التي عقدها لبيان فوائد ينتفع بها طالب العلم: " ومنها: أنَّ القرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن، وقد صحَّ في حديث ابن عبَّاسٍ: ( أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يَعْرِض القرآن على جبريل في كل عامٍ مرةً في رمضان، وأنَّه عرضه في العام الذي تُوفي فيه مرتين)[٢]، وهي العرضة الأخيرة التي نُسخ فيها ما نُسخ، وبقي ما بقي".أهـ[٣].**

**ثانيهما: افتتاحه كلَّ سورةٍ تكلم في تفسيرها ببيان نوعها من حيث النسخ أو عدمه – باستثناء سورة الناس – مستخدمًا مصطلح**

---

الإبطال: يُقال: نسَخَت الرّيحُ آثَارَ الدِّيَار إذا غَيَّرَتْهَا وأبطلتها.

النقل: يُقال: نَسَخَ الشيءَ ينسَخُه نَسْخاً وانتسَخَه واستنسَخَه: اكْتَتَبَهُ عَنْ مَعَارِضِهِ.

وأمَّا في لسان الشرع، فأصحُّ تعريفاته ما ذكره الحافظ ابن حجر- رحمه الله -: رفع تعلق حكمٍ شرعي بدليلٍ شرعي متأخرٍ عنه. يُنظر مادة (نسخ): المفردات في غريب القرآن ص: ٨٠١، ولسان العرب (٦١/٣) ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص: ٧٨.

(١) وهذا ما عليه جميع المسلمين بِلَا خِلَافٍ بَيْنَهم، إِلَّا مَا يُرْوي عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّهُ جَائِزٌ، غَيْرُ وَاقِعٍ. ولا عبرة بقوله. يُراجع: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (٥٢/٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٥/٥)، رقم (٣٤٢٢)، وقال محققوه: " إسناده صحيح على شرط الشيخين".أهـ.

(٣) الفيض العميم ص: ٣٦.

**( الإحكام) في مقابل ( النسخ )، فتراه يقول عن السورة التي لا نسخ فيها: " محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ"، كما هو صنيعه في مفتتح سورة الضحى[١]، وتارة يقول: " وهي محكمة " كما فعل في مفتتح سور: العلق، والقدر، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والقارعة، والماعون[٢]، وتارة أخرى يقول: " محكمة " كما فعل في مفتتح سور: الشرح، والتكاثر، والهمزة، والفيل، وقريش، والكوثر، والنصر، والمسد، والإخلاص، والفلق[٣].**

**وقد لاحظتُ عليه – رحمه الله – في هذا الباب أنَّه:**

(١) ينظر: الفيض العميم ص:٤٤.

(٢) ينظر: الفيض العميم ص:٨٤، ص:١٠٢، ص:١١٠، ص:١٢٥، ص:١٣٣، ص:١٤١، ص:١٨٥.

(٣) يُنظر: الفيض العميم ص: ٦٢، ص:١٤٨، ص: ١٦٦، ص:١٧٢، ص: ١٧٩، ص:١٩٢، ص:٢٠٦، ص:٢١٥، ص:٢٢٢، ص:٢٣١.

**أولًا: عدَّ جميع السُّور التي قام بتفسيرها من المحكم – أي لا نسخ فيهـــا – ما عدا سورتي: التين، والكافرون حيث أشار إلى الآيـــة المنســـوخة**

**منهما، وبيَّن أنَّ الناسخ لها آيةُ السَّيف(١).**

---

(١) مراد المفسِّرين بآية السَّيف قوله – تعالى-: { فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[ التوبة: ٥]، أو قوله – تعالى-{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }[التوبة: ٢٩]، أو قوله – تعالى-{ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً }[التوبة: ٣٦].

وقد سارع كثير من المفسرين إلى القول بنسخ كلّ آيةٍ فيها أمرٌ بالصفح أو العفو أو الصبر على أذى المشركين وإمهالهم ونحوه بآية السَّيف، وهذا ليس بنسخٍ في الحقيقة، وإنَّما هو نسء كما قال – تعالى-: { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[البقرة:١٠٦]، فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أنْ يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى.

والفرق بين النسخ والإنساء: أنَّ النسخ رفع الحكم الشرعي بالخطاب الشرعي قبل التمكن من العمل بالحكم الأول، وأمَّا الإنساء، فهو شرع الحكم من أجل سببٍ أو إلى وقتٍ، ثم يتغير هذا الحكم بتغير السبب والوقت، فكلُّ حكمٍ عُلِّق على سببٍ أو أُقِّت بوقتٍ وتغير بتغير السبب أو بانتهاء الوقت المحدد له يُسمَّى إنساءً لا نسخًا. وبهذا التحقيق تبيَّن ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنَّها منسوخة بآية السَّيف، وليست كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أنَّ كلَّ أمرٍ ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل = = بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنَّما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا. يُنظر: البرهان في علوم

**وسأذكر- لك أيها القارئ الكريم- كلام الشيخ في هاتين السُّورتين، ثم أقوم بالتحقيق والتعليق على ما قال.**

**قال - عليه الرحمة- عند تفسير سورة التين: " وفيها من المنسوخ آيةٌ واحدة، وهي قوله تعالى:**

القرآن ( النَّوْعُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: مَعْرِفَةُ نَاسِخِهِ مِنْ مَنْسُوخِهِ) (٤٢/٢)، والأصلان في علوم القرآن ص: ٨١، ٨٢.

**{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}(١) معناها منسوخٌ ولفظها محكمٌ(٢)، نسختها آية السَّيف".أهـ(٣).**

**قلتُ: تبع الشيخ الدمنهوري في القول بنسخ الآية الكريمة بآية السَّيف: القاسم بن سلامة، وابن حزم – عليهم جميعًا سحائب الرحمة –(٤)، والسَّبب في دعواهم النسخ: ظنُّهم أنَّ المراد بقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}: أي أقضى القاضين يحكم بينك– أيها الرسول الكريم – وبين مكذِّبيك، فأعرض عنهم واتركهم، ثم نُسخ هذا المعنى بآية السَّيف الآمرة بقتال جميع المشركين، وعدم إمهالهم وتركهم. وليس الأمر كما ظنُّوا؛ فإنَّ المراد من الآية الكريمة: تحقيق وتقرير ما ذُكر قبلها من**

---

(١) التين: ٨.

(٢) يُشير الدمنهوري – رحمه الله – بقوله: (معناها منسوخٌ ولفظها محكمٌ) إلى أنَّ من القرآن ما نُسخ حكمه وبقيت تلاوته؛ كهذه الآية، وفي تمثيله بها لهذا النوع نظرٌ يأتيك بيانه قريبًا، فانتظره.

فإن قلتَ: ما الحكمة في نسخ الحكم مع بقاء التلاوة؟

قلتُ: للتذكير بالنعمة في رفع المشقة إن كان الناسخ أيسر، وإن كان أشد فللاختبار والامتحان، ونسخ الحكم مع بقاء التلاوة لا يجردها من الفائدة، فهي كلام الله يُتلى آناء الليل وأطرف النهار، ويُثاب قارئه على كلّ حرفٍ ممَّا يتلوه، يُضاف إلى ذلك الاستمتاع بما حوته تلك الآيات المنسوخة من بلاغة ومن قيام معجزات بيانية أو علمية أو سياسية بها. يُراجع: مناهل العرفان ( المبحث الرابع عشر: في النسخ) (١٩٦/٢)، والأصلان في علوم القرآن ص:٩٠.

(٣) الفيض العميم ص: ٧٢.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص: ٢٠٠، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص: ٦٦.

خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثمَّ ردِّه إلى أسفل سافلين. فكأنَّه- سبحانه- يقول: إنَّ الذي فعل ذلك كلَّه هو أحكم الحاكمين خلقًا وإيجادًا، وصنعًا وتدبيرًا، وقضاءً وتقديرًا، وإذا ثبتتْ قدرته وحكمته صحَّ القول بإمكان حصول البعث بعد الموت ووقوعه(١)، وعلى هذا فلا نسخ. ومن المعلوم أنَّ الآية إذا احتملت النسخ والإحكام، حُملت على الإحكام؛ لأنَّ النسخ خلافُ الظاهر، فلا يُصار إليه إلّا عند الضرورة.

وممَّنْ ردَّ دعوى النسخ في الآية الكريمة: الإمام ابن الجوزي في نواسخه، وذلك حيث يقول – رحمه الله –: " زعم بعضهم: أنَّه نُسخ معناها بآية السَّيف؛ لأنَّه ظنَّ أنَّ معناها: دعهم وخلِّ عنهم، وليس الأمر كما ظنَّ، فلا وجه للنسخ".أهـ(٢).

وقال – طيب الله ثراه- عند تفسير سورة (الكافرون): " محكمةٌ إلا الآية الأخيرة(٣)؛ فإنَّها منسوخة بآية السَّيف". أهـ(٤).

قلتُ: لا يصحُّ القول بنسخ الآية الكريمة إلا إذا كان المراد منها المتاركة على معنى قل لهم – أيها الرسول الكريم –: إنِّيٌّ نبيٌّ مبعوثٌ إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني، وشأني ولا تدعوني إلى الشرك، فهي على هذا منسوخةٌ بآية السَّيف كما قيل، وممَّنْ ذهب إلى هذا المعنى وقال بنسخها: القاسم بن سلامة، وابن حزم، وابن الجوزي في زاد المسير- رحمهم الله تعالى-

(١) أفدت هذا المعني من الفيض العميم للدمنهوري ص:٨٢.
(٢) نواسخ القرآن ص: ٢١٥.
(٣) يعني قوله – تعالى-: { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [ الكافرون: ٦].
(٤) الفيض العميم ص: ١٩٨.

**(١). وأكثر المفسِّرين على أنَّ قوله – تعالى–: { لَكُمْ دِينُكُمْ } تقريرٌ لقوله – تعالى–: { لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ}، وقوله – تعالى–: { وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ}، كما أنَّ قوله – تعالى–: { وَلِيَ دِينِ} عندهم تقريرٌ لقوله – تعالى–: { وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ}، والمعنى: أنَّ دينكم وهو الإشراك مقصورٌ عليكم لا يتجاوزكم إليَّ كما تطمعون فيه، فلا تُعلِّقُوا به أمانيكم وآمالكم، فإنَّ ذلك من المحالات، وأنَّ ديني الذي هو التوحيد مقصورٌ على الحصول لي لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضًا؛ لأنَّ الله – تعالى– قد ختم على قلوبكم لسوء استعدادكم، أو لأنَّكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم، والآية على هذا المعنى مُحكمةٌ غير منسوخة كما لا يخفى. والأولى أن تُفسَّر الآية بما لا تكون عليه منسوخة؛ لأنَّ النسخ خلافُ الظاهر– كما سبق تقريره –، فلا يُصار إليه إلّا عند الضرورة(٢).**

**أضف إلى ما سبق أنَّ القول بالنسخ يحتاج إلى نقلٍ صحيحٍ عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣)– وهو ما لا يوجد هنا، كما أنَّ الآيتين الكريمتين من باب الخبر، ولا يقع النسخ في الأخبار(٤)، وإنَّما يقع في الأوامر والنواهي فقط.**

---

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص: ٢٠٦، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص: ٦٧، وزاد المسير (٥٠٠/٤).

(٢) يُراجع: روح المعاني (٤٨٩/١٥، ٤٩٠)، وفيه احتمالات أخرى في معنى الآية، لا وجه للنسخ عليها، فارجع إليها إن شئت.

(٣) لأنَّ النسخ رفع حكمٍ وإثبات آخر، فلا يُقال بالاجتهاد.

(٤) لأنَّ نسخها يُؤدِّي إلى القول بكذب الشارع إمَّا في الناسخ أو في المنسوخ، وذلك محالٌ عليه – تعالى -.

**ومن ثَمَّ ترى أنَّ القول بنسخ الآيتين الكريمتين بآية السَّيف قولٌ مرفوضٌ ودعوى عريضةٌ يردَّها التحقيق العلمي.**

**ثانيًا: حكى الخلاف في سورة العصر مرجِّحًا القول بإحكامها بتمامها حيث قدَّمه وذكر القول القاضي بأنَّ فيها ناسخًا ومنسوخًا بصيغة التمريض الدالة على ضعفه، قال – رحمه الله–: "محكمةٌ، وقيل: فيها ناسخ ومنسوخ، وهو قوله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}(١) نُسخ بقوله: { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا } الآية(٢)". أهـ(٣).**

**قلتُ: دعوى النسخ هنا بين الآيتين وهمٌ ظاهر؛ لأنَّ العلاقة بين الآيتين هي علاقة المستثنى بالمستثنى منه، ولكلٍّ منهما حكمه الذي يقتضيه عموم المستثنى منه وخصوص المستثنى، وهو شمول الحكم الأول لمَنْ عدا المستثنى أو تخصيص عمومه بطريق الاستثناء، وليس هذا من النسخ في شيء(٤).**

---

(١) العصر: ٢.

(٢) العصر: ٣.

(٣) الفيض العميم ص: ١٠٨.

(٤) يحسن بي في هذا المقام أن أُذكر للقارئ الكريم الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء؛ ليعلم كم من الآيات أُدخلت في النسخ وليست منه.

فالنسخ: رفعٌ لحكمٍ كان معمولًا به، وإبطال العمل به. وأمَّا التخصيص فهو: قصرٌ للعام على بعض أفراده بعد أن كان مستغرقًا لكلّ أفراده. فإذا لاحظنا شمول العام قبل التخصيص، ولاحظناه بعد التخصيص؛ تبين لنا أنَّ العام لم يبطل حكمه كلُّه بعد التخصيص؛ وإنَّما ارتفع الحكم عن المقدار الذي يتناوله التخصيص. فإذا قلنا: فاز كل مؤمن بالجنة، والمصلون برضوان الله، قصر الفوز برضوان الله على المصلين من المؤمنين. أمَّا غير المصلين، فلم يفوزوا برضوان الله. فأنت ترى أن التخصيص والنسخ قد يلتقيان في بعض

**ومن ثمَّ فإنِّي أستحسن صنيع شيخنا الدمنهوري – رحمه الله – في ترجيحه القول بالإحكام، وحكاية القول بالنسخ بصيغة التمريض التي تدلُّ على ضعفه عنده.**

## (٣) عنايته بأسباب النزول:

**ممَّا لا شك فيه أنَّ لمعرفة أسباب نزول الآيات[١]، أهميةً كبرى في فهم معانيها، والوقوف على تفسيرها؛ إذ معرفة الأحوال والوقائع التي عاصرت نزول القرآن من شروط فهمه فهمًا سديدًا. يقول الإمام الواحديُّ– عليه الرحمة –: " ... إِذْ هِيَ [ يعني: أسباب النزول] أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا".أهـ[٢].**

---

الصور، وقد ينفرد النسخ بصورةٍ لا يصحُّ أن يقال فيها بالتخصيص؛ وهي: إذا بَطَلَ الحكم بالكلية. وأمَّا الاستثناء: فإنَّه رفعٌ لحكمٍ كان سيدخل لولا الاستثناء ، فليس بينه وبين النسخ عَلاقة؛ فَالنَّسْخُ قَطْعٌ، وَرَفْعٌ، وَالِاسْتِثْنَاءُ رَفْعٌ فقط، وَالتَّخْصِيصُ بَيَانٌ. يُنظر: المستصفى في أصول الفقه لحجة الإسلام الغزالي ص: ٢٥٧، والأصلان في علوم القرآن ص:٨٢، ٨٣.

(١) المراد بسبب النزول هو ما نزلت الآيةُ أو الآيات متحدثةً عنه مبيّنةً لحكمه أيام وقوعه. والمعنى: أنَّه حادثةٌ وقعت في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم- أو سؤالٌ وُجِّه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله – تعالى- ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال. يُنظر: مناهل العرفان (المبحث الخامس: في أسباب النزول) (١٠٦/١).

(٢) أسباب النزول للواحدي ص: ٨.

**ونظرًا لأهمِّية معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن المجيد، اهتمَّ المفسِّرون – رحمهم الله– ببيانها وجمع الروايات والأخبار المتعلقة بها في تفاسيرهم، ومن هؤلاء المفسِّرين: العلامة الدمنهوري – رحمه الله– حيث أولاها عنايةً بالغةً، واهتمَّ ببيانها اهتمامًا كبيرًا في تفسيره، فذكر أسباب نزول الآيات التي قام بتفسيرها، واستوعب– في الأعمِّ الأغلب– جميع تلك الأسباب الواردة في القدر الذي فسَّره، ويظهر ذلك جليًّا بالمقارنة بين ما أورده وبين ما ذكره الإمام الواحديُّ في كتابه ( أسباب النزول)، والعلامة السُّيوطيُّ في كتابه ( لباب النُّقول)[١].**

**وفيما يلي استعراض بعض الأمثلة التي يظهر من خلالها مدى عناية الشيخ – رحمه الله – بذكر أسباب النزول، ومنهجه في إيرادها:**

**المثال الأول: ما ذكره عند تفسير سورة الضحى، قال:" وسبب نزول هذه السُّورة مختلفٌ فيه، فقيل: سببه أنَّ الوحي قد تأخَّر عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – أياماً، فقال المشركون: إنَّ محمداً قد ودَّعه ربه وقلاه[٢]، وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّ جَمِيلٍ امْرَأَةَ أَبِي لَهَبٍ قَالَتْ: « يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لأرجو أن يكون شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لم أره قَرُبك ليلتين أو ثلاثًا» حين اشتكى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – ولم ينم ليلتين أو ثلاثًا[٣].**

---

(١) يُراجع: أسباب النزول للواحدي ص: ٤٥٧ - ٤٧٤، ولباب النُّقول للسيوطي ص: ٢١٢ – ٢٢٠.

(٢) ذكره السُّيوطيُّ في لباب النقول ص: ٢١٢، وعزاه لسعيد بن منصور والفريابيّ عن جندب.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب التفسير – تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالضُّحَى (٥٧٣/٢) رقم (٣٩٤٥) من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ كَمَا حَدَّثَنَاهُ هَذَا الشَّيْخُ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ لَهُ عِلَّةً »، ووافقه الذهبيُّ، ذكره

**وقيل: إنَّ الْيَهُودَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم – عَـنِ الرُّوحِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَقَالَ: «سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا»، وَلَمْ يَقُـلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَاحْتَبَسَ الْوَحْيُ عليه(١)، وقيل: إنَّ جروًا كان في بيته، فلمَّا نزل عليه(٢) عاتبه رَسُولَ اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – على إبطائـه، فقال: إنَّا لا ندخل بيتًا فيه كلبٌ ولا صورة(٣)".أهـ(٤).**

**المثال الثاني: ما ذكره عند تفسير سورة التكاثر، قال:" واختلف في سبب نزول هذه الآية، رُوي أنَّها نزلت في حَيَّينِ من بني عبـد منـاف وبنـي سهم تفاخروا أيهم أكثر عددًا، فَكَثَرَهم بنو عبد مناف، فقال بنو سهمٍ: إنَّ البغي أهلكنا في الجاهلية فعادُّونا بالأحياء والأموات، فكثرهم بنو سـهم**

---

السُّيوطيُّ مختصرًا في لباب النقول ص: ٢١٢، وعزاه للحاكم عن زيد بن أرقم.

(١) ذكره الثعلبيُّ في تفسيره (٢٢٢/١٠)، والواحديُّ في الوسيط (٥٠٨/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٥٠/٨)، وابن الجوزي في الزاد (٤٥٦/٤).

(٢) يعني: جبريل - عليه السَّلام-.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٢٤) رقم (٦٣٦ )، والواحدي في أسباب النزول ص: ٤٥٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب التفسير – باب (١٣٨/٧) رقم (١١٤٩٥)، وقال: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَأُمُّ حَفْصٍ لَمْ أَعْرِفْهَا"، والسُّيوطيُّ في لباب النقول ص: ٢١٢، ٢١٣، وقال: " أخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده والواحدي وغيرهم بسندٍ فيه مَنْ لا يُعرف عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمِّه عن أمِّها خولة".

قال الحافظ ابن حجر – عليه الرحمة -: " وَقِصَّةُ إِبْطَاءِ جِبْرِيلَ بِسَبَبِ كَوْنِ الْكَلْبِ تَحْتَ سَرِيرِهِ مَشْهُورَةٌ لَكِنْ كَوْنُهَا سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ غَرِيبٌ بَلْ شَاذٌّ مَرْدُودٌ بِمَا فِي الصَّحِيحِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ". أهـ. فتح الباري (٧١٠/٨).

(٤) الفيض العميم ص: ٤٨.

لأنَّهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً[١]، والمعنى: أنَّكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم ثم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات، عبَّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكماً بهم، وإنَّما حذف الملْهيَّ عنه وهو ما يعنيهم من الدين للتعظيم والمبالغة. وقيل: في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلانٍ، وبنو فلانٍ أكثر من بني فلانٍ، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلَّالاً[٢]، وغير ذلك". أهـ[٣].

المثال الثالث: ما ذكره عند تفسير سورة المسد، قال:" وَذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَكْتُمُ أَمْرَهُ فِي أَوَّلِ الْمَبْعَثِ وَيُصَلِّي فِي شِعَابِ مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَى أَنْ نَزَلَ قَوْلُهُ – تَعَالَى–: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[٤] فَصَعِدَ الصَّفَا وَنَادَى يَا آلَ غَالِبٍ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ غَالِبٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَذِهِ غَالِبٌ قَدْ أَتَتْكَ فَمَا عِنْدَكَ؟ ثُمَّ نَادَى يَا آلَ لُؤَيٍّ فَرَجَعَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ لُؤَيٍّ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَذِهِ لُؤَيٌّ قَدْ أَتَتْكَ فَمَا عِنْدَكَ؟ ثُمَّ قَالَ: يَا آلَ مُرَّةَ فَرَجَعَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُرَّةَ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَذِهِ مُرَّةُ قَدْ أَتَتْكَ فَمَا عِنْدَكَ؟ ثُمَّ قَالَ يَا آلَ كِلَابٍ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ: يَا آلَ قُصَيٍّ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَذِهِ قُصَيٌّ قَدْ أَتَتْكَ فَمَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ وَأَنْتُمُ الْأَقْرَبُونَ، إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيبًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَشْهَدُ بِهَا لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ عِنْدَ ذَلِكَ: تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا،

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص: ٤٦٤ عن مقاتل والكلبي.
(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص: ٤٦٤ عن قتادة.
(٣) الفيض العميم ص: ١٥٠.
(٤) الشُّعَرَاءِ: ٢١٤.

**فَنَزَلَتِ السُّورَةُ. انتهى باختصار(١). وقيل في السَّبب غير ذلك، ومنه أنَّه صعد الصَّفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: مَنْ هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال:" أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تخرج بسفح هذا الجبل كنتم مصدقيَّ، قالوا: ما جربَّنا عليك كذبًا قط، قَالَ: فَإِنِّي { نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}(٢)، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: ما تقدَّم(٣)". أهـ(٤).**

**ومِمَّا يُلاحظ عليه – رحمه الله – في هذا الباب أنَّه:**

**– لم يُخرِّج أسباب النزول التي ذكرها، ولم يعزُها إلى مصادرها.**

**– يذكر – غالبًا – سبب النزول غير معزوٍ إلى راويه وقائله، وإنَّما يُورده بصيغة التمريض، فيقول: " قيل: كذا"، " رُوي كذا"، " نزلت في كذا".**

**– لم يتعرَّض لبيان الصَّحيح من غيره ممَّا ذكره من تلك الأسباب.**

---

(١) أخرجه بنحوه الواحديُّ في أسباب النزول ص: ٤٦٩ بسنده عن ٱلْكَلْبِيّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَن ابْن عَبَّاسٍ، وقال محققه: "إسناده ضعيف جدا". أهـ. قلتُ: لأنَّ طَرِيقَ ٱلْكَلْبِيّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ من أَوْهَى الطُرُق عَن ابْن عَبَّاسٍ. يُنظر: الإتقان في علوم القرآن ( النَّوْعُ الثَّمَانُونَ: فِي طَبَقَاتِ ٱلْمُفَسِّرِينَ) (٢٣٩/٤).

(٢) سبأ: ٤٦.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب قَوْلِهِ: { وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢] (١٨٠/٦) رقم (٤٩٧٢)، ومسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – (١٩٣/١) رقم (٢٠٨)، والواحدي في أسباب النزول ص: ٤٦٩ ، من حديث عَنْ سَعِيدِ بْن جُبَيْر، عَن ابْن عَبَّاسٍ.

(٤) الفيض العميم ص: ٢١٦، ٢١٧.

**- يذكر – في الأعمِّ الأغلب – لنزول الآية أكثر من سببٍ دون بيان وجه الجمع أو الترجيح، وربما كان مقصده في ذلك اطلاع القارئ على كلِّ ما رُوي حول الآية من أسباب نزولها؛ لشمول معنى الآية لكلِّ هذه الأسباب مجتمعة، أو لبيان تكرار نزولها مراتٍ متتالية حسب هذه الأسباب، ومن ثَمَّ لم يُصرِّح بترجيح سببٍ على غيره.**

**- يربط الآيات – في الأعمِّ الأغلب- بأسباب نزولها من غير بيانٍ لعموم لفظها وشمول حكمها، والأولى – كما هو مقررٌ- أنْ يعتبر عموم اللفظ وإنْ كان مَنْ نزلت فيه الآية يدخل فيها دخولاً أوليّاً[١].**

**(٤) رأيه في ترتيب الآيات والسُّور:**

**يرى الشيخ الدمنهوري – عليه الرحمة – أنَّ ترتيب آيات القرآن الكريم وسُوره على ما هي عليه الآن في المصاحف كان بتوقيفٍ من النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ربِّ العزة – سبحانه وتعالى- وأنَّه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، وقد صرَّح بذلك – رحمه الله – في مقدمة تفسيره، فقال: " ومنها [ يعني من الفوائد التي ضمَّنها مقدمته]: أنَّ السُّورة اسمٌ لطائفةٍ من القرآن مُتَرْجَمةٍ باسمٍ، أقلها ثلاثُ آياتٍ، والآية بعضٌ منها، وترتيبها كالآيات توقيفيٌّ". أهـ[٢].**

**قلتُ: وما ارتآه الشيخ في هذه المسألة هو ما عليه جمهور العلماء – رحمهم الله –.**

---

(١) تُنظر: هذه المسألة بتفصيل في الإتقان للسيوطي (النَّوْعُ التَّاسِعُ: مَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُول) (١/١١٠- ١١٢).

(٢) الفيض العميم ص: ٤٣.

أمَّا ترتيب الآيات بحيث تكون كلُّ آيةٍ في موضعها من سورتها على ما هي عليه الآن، فلا خلاف بين المسلمين في أنَّه توقيفي من قبل الله – عزَّ وجلَّ– لا دخل لأحد من البشر فيه كائنًا مَنْ كان. قال العلامة السُّيوطي – طيب الله ثراه –: " الْإِجْمَاعُ وَالنُّصُوصُ الْمُتَرَادِفَةُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ توقيفي لا شبهة في ذلك، وأمَّا الْإِجْمَاعُ فَنَقَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ[١]، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُنَاسَبَاتِهِ، وَعِبَارَتُهُ: " تَرْتِيبُ الْآيَاتِ فِي سُوَرِهَا وَاقِعٌ بِتَوْقِيفِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ فِي هَذَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ". انْتَهَى[٢]. وأمَّا النُّصُوصُ، فمنها: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ ثُمَّ قَالَ: « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى }[٣] إِلَى آخِرِهَا»[٤]. وَمِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا}[٥] قَدْ نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا وَلَمْ تَدَعْهَا؟ قَالَ: يَا بن أَخِي لَا أُغَيِّرُ

(١) البرهان في علوم القرآن (النَّوْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ: مَعْرِفَةُ تَقْسِيمِهِ بِحَسَبِ سُوَرِهِ وترتيب السور والآيات وعددها) (٢٥٦/١).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن ص: ١٨٢.

(٣) النحل: ٩٠.

(٤) مسند أحمد (١٨٨/٢٨)، رقم (١٦٩٨١)، وقال محققوه: " إسناده حسن". أهـ.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

**شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ"[١]. وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ قَالَ: مَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنِ الْكَلَالَةِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: « تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ »[٢].**

**وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَرْفُوعًا: « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[٣]". أهـ بتصرف[٤].**

**وأمَّا ترتيب السُّور بحيث تكون كلُّ سورةٍ في موضعها على ما هي عليه الآن في المصحف الشريف، فقد تعدَّدت أقوال العلماء فيه على ثلاثة أقوال، ولكلِّ قولٍ أدلته:**

---

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن- باب { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } الآية [البقرة: ٢٣٤] (٢٩/٦)، رقم (٤٥٣٠ ). وعلَّق العلامة الزرقاني – عليه الرحمة – على هذا الحديث بقوله: " فهذا حديثٌ أبلجُ من الصُّبح في أنَّ إثبات هذه الآية في مكانها مع نسخها توقيفي لا يستطيع عثمان – باعترافه- أن يتصرف فيه؛ لأنَّه لا مجال للرأي في مثله". أهـ مناهل العرفان في علوم القرآن (المبحث التاسع: في ترتيب آيات القرآن وسوره) (٣٤٨/١).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الفرائض- باب ميراث الكلالة (١٢٣٦/٣)، رقم (١٦١٧).

(٣) صحيح مسلم - كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - باب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ (٥٥٥/١)، رقم (٨٠٩).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (النَّوْعُ الثَّامِنَ عَشَرَ: فِي جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ) (٢١١/١، ٢١٢)، ويُراجع معه: مناهل العرفان في علوم القرآن (المبحث التاسع: في ترتيب آيات القرآن وسوره) (٣٤٦/١- ٣٤٨).

**الأول: أنَّه توقيفي كترتيب الآيات.**

**الثاني: أنَّه كان باجتهادٍ من الصَّحابة – رضي الله عنهم –.**

**الثالث: أنَّ ترتيب أكثر السُّور كان بتوقيفٍ من النبيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وترتيب بعضها كان باجتهادٍ من الصَّحابة – رضي الله عنهم[1].**

**والأرجح من هذه الأقوال: هو ما رآه شيخنا الدمنهوري، وعليه جمهور العلماء أنَّ ترتيب السُّور توقيفيٌّ كترتيب الآيات، وليس باجتهادٍ من الصَّحابة – رضي الله عنهم– وإن كانوا قد اختلفوا هل كلُّ ذلك الترتيب بتوقيفٍ قوليّ صريحٍ من النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ينصُّ على كلِّ سورةٍ أنَّها بعد سورة كذا، أو أنَّ بعض هذا الترتيب قد استند فيه الصَّحابة – رضي الله عنهم – إلى مستندٍ فعليّ من قراءة النبيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مثلًا[2]. وعلى كلٍّ فهو أمرٌ توقيفيّ؛ لأنَّ السُّنة – كما هو معلوم – قولٌ أو فعلٌ أو تقريرٌ. والأدلة على أنَّ ترتيب السُّور كلِّها توقيفي كثيرةٌ جدًا، منها:**

**ما أخرجه الإمام الْبُخَارِيُّ في صحيحه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – أَنَّهُ قَالَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالْأَنْبِيَاءِ: « إِنَّهُنَّ مِنَ**

---

(١) تُنظر هذه الأقوال وأدلتها: البرهان في علوم القرآن (النَّوْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ: مَعْرِفَةُ تَقْسِيمِهِ بِحَسَبِ سُوَرِهِ وترتيب السور والآيات وعددها) (٢٥٧/١ وما بعدها)، والإتقان في علوم القرآن (النَّوْعُ الثَّامِنَ عَشَرَ: فِي جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ) (٢١٦/١ - ٢٢٠)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (المبحث التاسع: في ترتيب آيات القرآن وسوره) (٣٥٣/١ - ٣٥٨).

(٢) يُنظر: علوم القرآن الكريم للشيخ نور الدين عتر ص: ٤٢.

**العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي»[١]، فَذَكَرَهَا نَسَقًا كَمَا اسْتَقَرَّ تَرْتِيبُهَا على ما هي عليه اليوم.**

**ومنها: ما أخرجه الْبُخَارِيُّ – أيضًا– في صحيحه عَنْ أُمِّ المؤمنين عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِـــــــ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ} وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا....»[٢].**

**ومنها: أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن واثلة بن الأسقع – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّـوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيـلِ الْمَثَـانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»[٣].**

**قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ:" فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَأْلِيفَ الْقُرْآنِ [ يعني: جمعه وترتيبه] مَأْخُوذٌ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَإِنَّمَا جُمِعَ فِي الْمُصْحَفِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّهُ قَـدْ جَـاءَ هَـذَا**

---

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن- باب تأليف القرآن (١٨٥/٦)، رقم (٤٩٩٤). وأراد بالعتاق الأول: السُّور التي أنزلت أولاً بمكة، ومعنى من تلاد، أي من أول ما تعلَّمه من القرآن، شبهه بتلاد المال القديم. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(١٧٩/٣) (باب العين مع التاء)، و(١٩٤/١) (باب التاء مع اللام).

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب النفث في الرقية (١٣٣/٧)، رقم (٥٧٤٨ ٥).

(٣) مسند أحمد (١٨٨/٢٨)، رقم (١٦٩٨١)، وقال محققوه: " إسناده حسن". أهـ.

الْحَدِيثُ بِلَفْظِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ– عَلَـى تَـأْلِيفِ الْقُرْآنِ".أهـ(١).

ومنها: كَوْنُ الْحَوَامِيمِ رُتِّبَتْ وَلَاءً وَكَذَا الطَّوَاسِينِ، وَلَمْ تُرَتَّبِ الْمُسَـبِّحَاتُ وَلَاءً بَلْ فُصِلَ بَيْنَ سُوَرِهَا، وَفُصِلَ بَيْنَ طسم الشُّعَرَاءِ وَطسـم الْقَصَـصِ بطس مَعَ أَنَّهَا أَقْصَرُ مِنْهُمَا، وَلَوْ كَانَ التَّرْتِيبُ اجْتِهَادِيًّا لَذُكِرَتِ الْمُسَبِّحَاتُ وَلَاءً وَأُخِّرَتْ طس عَنِ الْقَصَصِ(٢).

ومِمَّا يقوي رأي جمهور العلماء – أنَّ ترتيب القرآن في آياته وسـوره توقيفيٌّ مأخوذٌ من الوحيِ الإلهيِّ – ما أبرزه أئمة التحقيق من المفسِّرين في تفاسيرهم على اختلاف مشاربهم وتعدُّد مناهجهم من أوجـه تناسـب الآيات والسُّور مع بعضها بعضًا، ومنهم شيخنا الدمنهوري – رحمه الله – حيث كان له اهتمامٌ كبيرٌ بإبراز أوجه التناسب بين السُّور والآيـات، وهذا ما سنتعرف عليه فيما يلي.

## (٥) اهتمامـــــــــــــه بذكر المناسبات بين السُّور والآيات:

من علوم القرآن التي عُني شيخنا – رحمه الله – ببيانها في تفسـيره – أيضًا–: علم المناسبات(٣)، فتجده يُقرِّر– رحمه الله – " أنَّ القرآن كلَّـه

(١) الناسخ والمنسوخ (٤٠٣/٢).

(٢) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن (النَّوْعُ الثَّامِنَ عَشَرَ: فِي جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ) (٢١٩/١).

(٣) المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة. وفي الاصطلاح: علمٌ تُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن. أو هو: علم يُبحث فيه عن الترابط الوثيق بين سور القرآن الكريم وآياته من مبدئه إلى نهايته. يُنظر: تاج العروس (٢٦٥/٤) مادة (نسب)، ونظم الدُّرر للبقاعي (٦/١).

**كالسُّورة الواحدة يُصدِّق بعضها بعضاً، ويبيِّن بعضها معنى بعض"[١]. بل تراه يُلفت الأنظار إلى أنَّ القرآن الكريم يتصل أوله بآخره، وآخره بأوله اتصالًا بديعًا، وترتبط آياته وسوره فيما بينها ارتباطًا وثيقًا، وإن رُمت على ذلك دليلًا، فاقرأ مقالته في مفتتح سورة الناس نقلًا عن الإمام البقاعي – عليهما الرحمة– إذ يقول: " قال البقاعي: ومقصود هذه السورة معلولٌ لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان، ببراعة الختام وفذلكة النِّظام، كما أنَّ الفاتحة شاملة لذلك لإنهاء براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال، فقد اتَّصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول". أهـ[٢].**

**قلتُ: وحُقَّ لشيخنا الدمنهوريِّ ولغيره من المفسِّرين الاهتمامُ بهذا العلم الجليل؛ نظرًا لأهميته في قضية الإعجاز؛ إذ يُعتبر مظهرًا جليلًا من مظاهر الإعجاز القرآني.**

**وحسبك في بيان أهميته وشرفه مقالة العلامة الزركشي – عليه الرحمة – وذلك حيث يقول: "واعلم أنَّ المناسبة علمٌ شريفٌ تحرز به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول " إلي أن يقول: " وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء".أهـ[٣].**

---

(١) الفيض العميم ص: ١٨١.

(٢) الفيض العميم ص:٢٤٢. ويُنظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٣/٣١٠)، وتفسير جزء عمَّ للبقاعي أيضًا ص: ٥٥٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن ( النوع الثاني: معرفة المناسبات بين الآيات) (١/٣٥، ٣٦).

ويقول العلامة نور الدين عتر – حفظه الله–: " أجمع العقلاء الألبَّاء على أنَّ القرآن معجزٌ في أسلوبه وبيانه، وذلك يوجب أن تكون آياتُه متآلفةً مع بعضها بعضًا، وأن تكون سورُه مرتبطةً ببعضها أيضًا؛ لأنَّ حسن تآلف الكلام وتناسبه ممَّا يحسن به كلام البلغاء ويسمو، كما أنَّ تفككه وضعف ترابطه ينزل برتبة الكلام ويضعفه، فلابد إذًا أن يكون البيان القرآني مراعيًا للتآلف والترابط ، الذي يناسب سمو وإعجاز القرآن".أهـ(١).

ولقد برزت عناية الشيخ الدمنهوري – طيب الله ثراه– بذكر المناسبة بين السُّور والآيات في تفسيره، وأفاد في بيانهما ممَّا سطره قلم الإمامين: البقاعي في نظم الدرر، والفخر الرازي في تفسيره، وقد آن الأوان لأسوق بعض الأمثلة التي تبرهن على ما قصدتُ تقريره وسبقتُ بذكره من اهتمامه – رحمه الله – بعلم المناسبات:

أولًا: بعض الأمثلة على عنايته بالمناسبات بين السُّور:

(أ) بيانه مناسبة افتتاح السُّورة لخاتمة ما قبلها:

– من ذلك ما ذكره في بيان مناسبة فاتحة سورة الشرح لخاتمة سورة الضحى حيث قال: "لمَّا أمره – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– آخر الضحى بالتحديث بنعمه، فصَّلها في هذه السورة فقال مثبتًا لها في استفهامٍ، مبالغةً في إثباتها عند مَنْ يُنكرها، فكانت مع ما قبلها كالسورة الواحدة". أهـ(٢).

(١) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم ص: ٧.

(٢) الفيض العميم ص:٦٢، ٦٣. ويُراجع نظم الدرر (١١٥/٢٢).

**- وما ذكره في بيان مناسبة فاتحة سورة الزلزلة لآخر سورة البينة قال: " وجه المناسبة بين هذه السُّورة وآخر السُّورة المتقدمة: أنَّه - تعالى- لمَّا قال: {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ }(١) فكأنَّ المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}(٢) فالعالمون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنًا فيه، كما قال: { وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ}(٣)". أهـ(٤).**

**- وما ذكره في بيان مناسبة فاتحة سورة القارعة لخاتمة سورة العاديات قال: " لمَّا ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته فقال: {القَارِعَةُ}(٥) أي الصَّيحة أو القيامة، التي تقرع القلوب بأهوالها، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار، والأشياء الثابتة بالانتشار". أهـ(٦).**

**(ب) بيانه المناسبة بين موضوع السُّورتين:**

---

(١) البينة: ٨.

(٢) الزلزلة: ١.

(٣) النمل: ٨٩.

(٤) الفيض العميم ص:٦٢، ٦٣. ويُراجع مفاتيح الغيب (٢٥٣/٣٢)، وزاد وجهًا آخر وهو: " أنَّه - تعالى- لمَّا ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أرادأن يزيد في وعيد الكافر، فقال: أُجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره: ما للأرض تزلزل، نظيره قوله: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } [آل عمران: ١٠٦] ثم ذكر الطائفتين فقال: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ } [آل عمران: ١٠٦] { وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ } [آل عمران: ١٠٧] ثم جمع بينهما في آخر السورة فذكر الذرة من الخير والشر". أهـ.

(٥) القارعة: ١.

(٦) الفيض العميم ص:٦٢، ٦٣. ويُراجع نظم الدرر (٢٢٠/٢٢).

**- من ذلك ما ذكره في بيان المناسبة بين موضوع سورة التين وموضوع سورة الشرح حيث قال: "ولمَّا ذكر فيما قبلها مَنْ كملَّه الله خَلْقًا وخُلُقًا، وفضَّله على سائر العالم، ذكر هنا حالة مَنْ يُعاديه، وأنَّه يردُّه إلى أسفل سافلين في الدنيا والآخرة". أهـ(١).**

**- وما ذكره في بيان المقابلة بين معاني سورتي الماعون والكوثر حيث قال:**

**" فالسُّورَةَ كَالْمُقَابِلَة للسُّورَة الْمُتَقَدِّمَة، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي السُّورَة الْمُتَقَدِّمَة وَصَفَ الْمُنَافِقَ بِأُمُورٍ أَرْبَعَة: الْأَوَّلُ: الْبُخْلُ فِي قَوْلِه: { يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}(٢). الثَّانِي: تَرْكُ الصَّلَاةِ فِي قَوْلِه: { الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}(٣). الثالث: الرياء في الصلاة في قوله: { الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ}(٤). الرَّابِعُ: مَنْعُ الزَّكَاةِ فِي قَوْلِه: { وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}(٥)، فَذَكَرَ فِي مُقَابَلَة الأول: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}(٦) أَيْ أَعْطَيْنَاكَ الْكَثِيرَ، فَأَعْطَى الْكَثِيرَ، وَفِي مقابلة الثاني: { فَصَلِّ}(٧) أَيْ دُمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَفِي مقابلة**

(١) الفيض العميم ص:٦٢، ٦٣. ويُراجع نظم الدرر (١٣٠/٢٢، ١٣١).
(٢) الماعُون: ٢، ٣.
(٣) الماعون: ٥.
(٤ ) الماعُون: ٦.
(٥ ) الماعُون: ٧.
(٦) الكوثر: ١.
(٧) الكوثر: ٢.

**الثالث: {لِرَبِّكَ}[١] أَي ائْتِ بِالصَّلَاةِ لِرِضَا رَبِّكَ، لَا لِمُرَاءَاةِ النَّاسِ، وَفِي مُقَابَلَةِ الرابع: { وَانْحَرْ}[٢] وَأَرَادَ بِهِ التَّصَدُّقَ بِلَحْمِ الْأَضَاحِيِّ". أهـ[٣].**

**ثانيًا: بعض الأمثلة على عنايته بالمناسبات بين الآيات:**

**- من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}[٤] حيث قال: "وجه اتصاله بما قبله هو أنَّه – تعالى- لمَّا بيَّن أنَّ الآخرة خيرٌ له من الأولى، ولكنَّه لم يُبيِّن أنَّ ذلك التفاوت إلى أي حدٍ يكون، فبيَّن بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت، وهو أنَّه ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه". أهـ[٥].**

**- وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }[٦] قال: "وجه تعلق هذه الآية بما قبلها: أنَّ المشركين كانوا يُعيِّرُون رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالفقر، ويقولون: إن كان غرضك من هذا الذي تدعيه طلبَ الغنى، نجمع لك مالًا حتى تكون كأيسر أهل مكة، فشقَّ ذلك على رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى سبق إلى وهمه أنَّهم**

---

(١) الكوثر: ٢.

(٢) الكوثر: ٢.

(٣) الفيض العميم ص: ١٩٤. ويُراجع مفاتيح الغيب (٣٠٧/٣٢).

(٤) الضحى: ٤.

(٥) الفيض العميم ص:٥١. ويُراجع مفاتيح الغيب (١٩٤/٣١)، وزاد وجهًا آخر وهو:

" كأنَّه – تعالى- لمَّا قال: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [ الضحى: ٤] فقيل ولِم قلتَ: إنَّ الأمر كذلك؟ فقال: لأنَّه يُعطيه كلَّ ما يريده، وذلك ممَّا لا تتسع الدنيا له، فثبت أنَّ الآخرة خيرٌ له من الأولى". أهـ.

(٦) الشرح: ٦.

إنَّما رغبوا عن الإسلام لكونه فقيرًا، فعدَّد الله – تعالى– عليه مننه في هذه السُّورة، فقال: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}(١)، ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التأذي بسبب أنهم عيروه بالفقر، والدليل عليه دخول الفاء في قوله: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}(٢) كأنَّه – تعالى– قال: فلا يحزنك ما يقولون، وما أنت فيه من القلة، فإنَّه يحصل في الدنيا يسرٌ كاملٌ، وقد أنجز – سبحانه– ما وعده ووسَّع ذات يده، حتى كان يُعطي المئتين من الإبل ويهب الهبة السَّنيَّة(٣)".أهـ(٤).

– وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}(٥) قال: " لَمَّا ذَكَرَ الْمُقْسَمَ بِهِ، ذَكَرَ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ ثلاثةٌ؛ الأول: {إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ} أي لنعمه على الأول الآتي { لَكَنُودٌ} جواب القسم أي لكفور..... الثاني: قوله: { وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ}(٦)..... الثالث: قوله: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}(٧)....". أهـ(٨).

---

(١) الشرح: ١، ٢.

(٢) الشرح: ٥.

(٣) أي: الرفيعة القدر والمنزلة. يُنظر لسان العرب (٤٠٣/١٤) مادة (سنا).

(٤) الفيض العميم ص:٦٩، ٧٠. ويُراجع مفاتيح الغيب (٢٠٨/٣٢).

(٥) العاديات: ٦.

(٦) العاديات: ٧.

(٧) العاديات: ٨.

(٨) الفيض العميم ص:١٣٧، ١٣٨. ويُراجع مفاتيح الغيب (٢٦١/٣٢، ٢٦٢).

– وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ}[١] قال: " ولَمَّا وَصَفَ– سبحانه– يَوْمَ الْقِيَامَةِ قسَّم الناس فيه إلى قسمين؛ أشار إلى الأول بقوله: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ} لاتَّباعه الحقَّ وثقَله عليه { فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ}[٢]..... وإلى الثاني بقوله: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ}[٣] بأن رجَحَت سيِّئَاتُه عَلَى حَسَنَاتِه، أو لم يكن له حسنةٌ لاتَّباعه الباطل وخفته عليه".أهـ[٤].

## (٦) رأيه في أول ما نزل من القرآن:

ذكر الشيخ الدمنهوري – طيَّب الله ثراه – أنَّ أولَ ما نزل من القرآن خمسُ آياتٍ من أول سورة العلق مستدلًا على ذلك بحديث أمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– الثَّابت في الصحيحين: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي

(١) القارعة: ٦.
(٢) القارعة: ٧.
(٣) القارعة: ٨.
(٤) الفيض العميم ص:١٤٥، ١٤٦. ويُراجع مفاتيح الغيب (٢٦٧/٣٢، ٢٦٨).

**الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }[(١)].....» الحديث[(٢)].**

**ثم قال عقب ذكره: " فهذا الحديث دليلٌ صريحٌ على أنَّ أولَ ما نزل من القرآن { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } إلى { مَا لَمْ يَعْلَمْ}".أهـ[(٣)].**

**وقال – أيضًا – في مقدمة تفسيره لسورة العلق: " قال أكثر المفسِّرين: هذه السُّورةُ أولُ سُورةٍ نزلت من القرآن، وأولُ ما نزل خمسُ آياتٍ من أولها إلى { مَا لَمْ يَعْلَمْ}".أهـ[(٤)].**

**ولا يُشكِل على ذلك ما جاء في الصَّحيحيْن – أيضًا – عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قال: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ [يعني: عبد الرحمن بن عوف] أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}، فَقُلْتُ: أَوِ {اقْرَأْ} ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}، فَقُلْتُ: أَوْ {اقْرَأْ}؟ قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: « جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ**

---

(١) العلق: ١ – ٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب بَدْءُ الوَحْيِ – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ (٧/١) رقم (٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان-باب بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(١٣٩/١) رقم (١٦٠).

(٣) الفيض العميم ص: ٨٦، ٨٧.

(٤) الفيض العميم ص: ٨٤.

عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ – يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ – فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ–: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}»[١]. فإنَّ هذا الحديث إنَّما يتحدث عن أول ما نزل من القرآن بعد انقطاع الوحيِّ الشريف يدلُّ على ذلك: حديث جَابِر– رضي الله عنه – نفسه الثابت في الصَّحيحيْن– أيضًا – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، يَقُولُ: « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " فَجُئِثْتُ[٢] مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}[٣]– وَهِيَ الْأَوْثَانُ – " قَالَ: « ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ»[٤]. كما أنَّ قوله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب قَوْلِهِ: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر: ٣] (١٦٢/٦) رقم (٤٩٢٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان-باب بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(١٤٤/١) رقم (١٦١).

(٢) أَيْ: ذُعِرْت وخِفْت. يُقَالُ جُئِثَ الرَّجُلُ، وجُئف، وجُثَّ: إِذَا فَزِع. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٣٢/١ ) ( باب الْجِيمِ مَعَ الْهَمْزَةِ).

(٣) المدثر: ١ – ٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب بَدْءُ الوَحْيِ – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ (٧/١) رقم (٤)، وأخرجه

جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» يدلُّ على أنَّه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد رآه قبل ذلك وعرفه.

قال الحافظ ابن حجر – عليه الرحمة –: ".... رِوَايَةَ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ[ يعني: الحديث السابق الذكر] تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ أَوَّلِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ بِمَا بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ أَوْ مَخْصُوصَةٌ بِالْأَمْرِ بِالْإِنْذَارِ لَا أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهَا أَوَّلِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ، فَكَأَنَّ مَنْ قَالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ { اقْرَأْ } أَرَادَ أَوَّلِيَّةً مُطْلَقَةً، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا الْمُدَّثِّرُ أَرَادَ بِقَيْدِ التَّصْرِيحِ بِالْإِرْسَالِ". أهـ[1]. ومن هنا تعلم أنَّ المراد بأوليَّة المدثر الواردة في حديث جابر – رضي الله عنه – أوليَّةٌ مقيَّدةٌ بِمَا بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، أو مقيَّدةٌ بأمر النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالإنذار.

وإذا عرفت هذا، فلا تلتفت إلى قول مَنْ قال: إنَّ أول ما نزل من القرآن على الإطلاق سورة الفاتحة مستدلًا بما أخرجه البيهقيُّ والواحديُّ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ- قَالَ لِخَدِيجَةَ ولورقة بن نوفل: «إِذَا خَلَوتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ: { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. حَتَّى بَلَغَ { وَلَا الضَّالِّينَ}....» الحديث[2]. فقد ردَّه أهل الفنِّ لإرساله حيث رفعه

---

مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان-باب بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(١٣٤/١) رقم (١٦١).

(١) فتح الباري (٦٧٨/٨).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة في جماع أبواب المبعث - باب أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ (١٥٨/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب

**عَمْرِو بْنُ شُرَحْبِيلَ إلى رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ– دون ذكر الصَّحابيِّ، والإرسال نوعٌ من أنواع الانقطاع في السَّند[١]، قال الإمام البيهقيُّ بعد ذكره: " فَهَذَا مُنْقَطِعٌ، فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ نُزُولِهَا بَعْدَ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، و {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}، وَاللهُ أَعْلَمُ".أهـ[٢]. وقال القاضي الباقلاني – عليه الرحمة – بعد ذكره – أيضًا–:"وهذا الخبرُ مُنقطِعٌ غيرُ متصل السَّند؛ لأنّه موقوف على أبي ميسرةَ ".أهـ[٣].**

---

المغازي - باب ما جاء في المبعث (٣٢٩/٧)، والواحدي في الوسيط (٧٠/١، ٧١)، وأسباب النزول ص:١٩، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٩/٣، ١٠) وعزاه للبيهقي وأبي نعيم، وقال: "وهو مرسل وفيه غرابة، وهو كون الفاتحة أول ما نزل" أهـ، والسيوطي في الدر المنثور (٦/١) وعزاه لابن أبي شيبة والبيهقي وأبي نعيم والواحدي والثعلبي، كلهم عن أبى ميسرة بنحوه.

(١) المشهور أنَّ الحديث المرسل: هو ما رفعه التابعي، بأن يقول: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-"، سواء كان التابعي كبيرًا أو صغيرًا، ومذهب جمهور المحدثين وكثير من الفقهاء والأصوليين أنَّ المرسل ضعيفٌ لا يُحتجُّ به. ودليلهم على ذلك: أنَّ المحذوف مجهول الحال؛ لأنَّه يحتمل أن يكون غير صحابي، وإذا كان كذلك فإنَّ الرواة حدَّثوا عن الثقات وغير الثقات، فإذا روى أحدهم حديثًا وأرسله لعله أخذه عن غير ثقة. وإن اتفق أن يكون المُرسِل لا يروي إلا عن ثقة، فالتوثيق مع الإبهام غير كافٍ. يُنظر: منهج النقد في علوم الحديث للشيخ نور الدين عتر ص:٣٧٠، ٣٧١.

(٢) دلائل النبوة (١٥٨/٢).

(٣) الانتصار للقرآن (٢٤١/١).

**ومن ثمَّ يتقرَّر أنَّ أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو صدر سورة العلق، وهو الرَّاجح لدى المحققين من المفسِّرين والعلماء، وهو – أيضًا– ما رجَّحه العلامة الدمنهوري حيث ذكره ولم يذكر غيره.**

**(٧) عنايته بفضائل القرآن:**

**حفلت كتب السنة النبوية المطهرة بأحاديث في فضائل القرآن عامةً، وفي فضائل آياتٍ وسورٍ بعينها، قال العلامة الزركشي – رحمه الله –: "وقد صحَّ فيه [ يعني في القرآن] أحاديث باعتبار الجملة، وفي بعض السُّور على التعيين".أهـ(١).**

**ولقد برزت عناية شيخنا الدمنهوري – رحمه الله – في تفسيره بالأمرين معًا، حيث ذكر في مقدمة تفسيره جملةً من الأحاديث في فضائل القرآن العامة تحت عنوان: « فضل القرآن وتلاوته وتعليمه»، وذلك حيث يقول – طيب الله ثراه –: " ومنها [ يعني من الفوائد التي ضمَّنها مقدمته] ما ورد في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه: فمن الأول: « كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»(٢)، ومنه: « إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٣). ومن الثاني: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ،**

---

(١) البرهان في علوم القرآن (النَّوْعُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِ) (٤٣٢/١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٨٧٤/٤) رقم (٢٤٠٨).

(٣ ) أخرجه مسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- باب فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا(٥٥٩/١) رقم (٨١٧).

**وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيه، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْـرَانِ»[١]، ..... ومنه: « مَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّـةِ، طَعْمُهَـا طَيِّـبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْـرَةِ، طَعْمُهَـا طَيِّبٌ ولاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفاجر الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كمَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَلا طَعْمُ لهَا، وَمَثَلُ الفاجر الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُـرْآنَ كَمَثَـلِ الحَنْظَلَـةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ ولا ريح لها»[٢]. ومن الثالث: قوله – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٣]".أهـ[٤].**

**كما ختم تفسيره المبارك بخاتمةٍ انتظمت خمسة فصولٍ، جعـل الفصـل الأول منها في « فضل القرآن والترغيب فيه»، وذكر تحته أيضاً جملـةً من الأحاديث، قال – رحمه الله – : " من ذلك ما رُوي عن ابـن عمـر قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَـيْنِ:**

---

(١ ) أخرجه مسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- باب فَضْلِ الْمَاهِرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ (٥٤٩/١) رقم (٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلاَوَتُهُمْ لاَ تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ (١٦٢/٩) رقم (٧٥٦٠)، وفي كتاب الأطعمة - باب ذِكْرِ الطَّعَامِ (٧٧/٧) رقم (٥٤٢٧)، ومسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- باب فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ (٥٤٩/١) رقم (٧٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فَضَائِلِ القُرْآنِ – باب: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (١٩٢/٦) رقم (٥٠٢٧) من حديث عثمان - رضي الله عنه-.

(٤) الفيض العميم ص: ٣٤، ٣٥.

**رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ ينفقُ منه آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ، فَهُوَ يقُوم به آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»(١).**

**وعن ابن عباس قال: « قال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الحَالُّ المُرْتَحِلُ». قَالَ: وَمَا الحَالُّ المُرْتَحِلُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ القُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ»(٢)".أهـ(٣).**

**كما عُني – طيب الله ثراه – ببيان فضائل بعض السُّور في معرض تفسيره لها، ومن أمثلة ذلك:**

**ما ذكره في فضائل سورة الإخلاص، حيث قال: " ولها فضائل كثيرة، منها: ما رُوي عنه– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَآمَنَ»(٤)، وَقَالَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَاحِدَةً أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فَضَائِل القُرْآن– باب اغْتِبَاطِ صَاحِبِ القُرْآن (١٩١/٦) رقم (٥٠٢٥)، وفي كتاب التوحيد - باب قَوْل النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْل وَآنَاءَ النَّهَار(١٥٤/٩) رقم (٧٥٢٩)، ومسلم في كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- باب فَضْل مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآن (٥٨٨/١) رقم (٨١٥).

(٢ ) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الْقِرَاءَاتِ عَنْ رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٩٧/٥) رقم (٢٩٤٨)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْن عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالقَوِيِّ».

(٣) الفيض العميم ص: ٢٤٨.

(٤) لم أقف عليه في كتب الحديث، وذكره الرازي في تفسيره (٣٥٦/٣٢) عن أُبي بن كعب.

**وَمَلَائِكَتِه وَرُسُلِه، وَأُعْطِي مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مِائَةِ شَهِيدٍ»**(١)، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: « أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: " وَجَبَتْ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ:" وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»**(٢)، **وعنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ نَفَتِ الْفَقْرَ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْجِيرَانِ»**(٣). **ومنها: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَشَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ إِنْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ فَسَلِّمْ عَلَى نَفْسِكَ، وَاقْرَأْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَاحِدَةً فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَأَدَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقًا حَتَّى أَدَرّ عَلَى جِيرَانِه»**(٤)، **وعنه أيضًا– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «مَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهَا حَتَّى تُجِيزُهُ الصِّرَاطَ إِلَى الْجَنَّةِ»**(٥)".**أهـ**(١).

---

(١) لم أقف عليه في كتب الحديث، وذكره الرازي في تفسيره (٣٥٦/٣٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٦/١٣) رقم (٨٠١١)، وقال محققوه: " إسناده صحيح". أهـ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير(٣٤٠/٢) رقم (٢٤١٩) من حديث عبد الله بن مسعود، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب الأذكار - باب مَا يَقُولُ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ (١٢٨/١٠) رقم (١٧٠٧٥)، وقال: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ مَرْوَانُ بْنُ سَالِمٍ الْغِفَارِيُّ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ".

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣٣١/١٠) عن سهل بن سعد.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧/٦) رقم (٥٧٨٥) من حديث عبد الله بن الشِّخِّير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب التفسير-سُورَةُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ وَمَا ضُمَّ إِلَيْهَا مِنَ الْفَضْلِ (١٤٥/٧) رقم (١١٥٣٨)، وقال: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَقَالَ: لَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ -

**وما ذكره في فضائل المعوذتين، حيث قال: " وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « لقد أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سورتان، ما أُنزل مثلهما، « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، و« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»(٢)، وقال – أيضًا–: « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قُلْتُ: بَلَى يا رَسُولُ اللَّه، قال: « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»(٣)، وكَانَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا اشْتَكَى شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ قَرَأَ: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي كَفِّهِ الْيُمْنَى وَمَسَحَ بِهَا الْمَكَانَ الَّذِي يَشْتَكِي» (٤)".أهـ(٥).**

**ومما يُلاحظ عليه – رحمه الله – في هذا الباب أنَّه:**

**– لم يُخرِّج أحاديث الفضائل التي ذكرها، ولم يعزها إلى مصادرها من كتب السُّنَّة.**

---

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِيهِ نَصْرُ بْنُ حَمَّادٍ الْوَرَّاقُ وَهُوَ مَتْرُوكٌ ".

(١) الفيض العميم ص: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- باب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ (٥٥٨/١) رقم (٨١٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥٣٠/٢٨) رقم (١٧٢٩٧) من حديث عقبة بن عامر، وقال محققوه: " حديث صحيح". أهـ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الطب – باب النفث في الرقية (١٣٣/٧) رقم (٥٧٤٨) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِـ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ».

(٥) الفيض العميم ص: ٢٤٠.

- نقل بعضًا من هذه الأحاديث من كتب التفسير.
- لم يلتزم ذكر الراوي الأعلى في الأعمِّ الأغلب.
- لم يكتف بذكر الصحيح مع أنَّ فيه الغناء أتمَّ الغناء، وإنَّما جمع بين الصحيح وغيره.
- لم يتعرَّض لبيان درجة الأحاديث من حيثُ الصحةُ والضعفُ.
- يُعلِّق على بعض الأحاديث التي يذكرها بما يشرح معناها ويوضِّح غامضها، ويُجلِّي المراد منها، كما صنع عقب ذكره حديث «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ »، قال: "و(الماهر) الحاذق، الكامل الحفظ، الجيد التلاوة، و(السفرة) جمع سافر وهو الرسول من الملائكة، وقيل الكتبة من الملائكة، و(البررة) المطيعون، ومعنى المعية أنَّ له منازل يكون رفيقًا لهم فيها، (والذي يتتعتع) أي يتردَّد في تلاوته لضعف حفظه له أجران، أجرٌ بسبب القراءة، وأجرٌ بسبب تعبه فيها، وليس معناه أنَّ له أجرًا أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرًا".أهـ(١).

وكما فعل بعد ذكره فضل سورة (الكافرون) حيث قال: " وَرُوِيَ: مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ رُبْعَ الْقُرْآنِ(٢)؛ لأَنَّه مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَكُلُّ

(١) الفيض العميم ص: ٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب فضائل القرآن- باب مَا جَاءَ فِي {إِذَا زُلْزِلَتْ} [١٦٦/٥] رقم [٢٨٩٤]، عن ابن عباسٍ بلفظ: «إِذَا زُلْزِلَتْ تَعْدِلُ نِصْفَ القُرْآنِ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبُعَ القُرْآنِ»، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ يَمَانِ بْنِ المُغِيرَةِ»، وقال محققه: " صحيح دون فضل زلزلت".

**مِنْهُمَا إِمَا متَعَلَّقٌ بِالْقُلُوبِ أو بالْجَوَارِحِ، وَهَـي مُشْـتَمِلَةٌ عَلَـى النَّهْـيِ الْمُتَعَلِّقِ بالْقُلُوبِ، فَتَكُونُ رُبْعًا بهذا الاعتبار".أهـ[١].**

**وكما قال – أيضًا– بعد ذكره فضل سورة الإخلاص: " وَفي كـون { قُـلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ قِرَاءَةَ ثُلُثِ الْقُرْآنِ أقوالٌ، منهـا أنَّ القـرآن ثلاثـة أجزاء: قصصٌ وأحكامٌ وصفاتٌ عنه – تعالى–، و{قُلْ هُـوَ اللَّـهُ أَحَـدٌ} متمحِّضةٌ للصفات، فهي جزءٌ القرآن من ثلاثة أجزاء، وقيل معنـاه: إنَّ ثواب قراءتها يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن من غير تضعيف، وقيل: تعدل القرآن كله باعتبار أنَّ المقصود منه بالـذات مـا اشـتملت عليه".أهـ[٢].**

**وممَّا يُحمد له – رحمه الله – في هذا الباب: أنَّه لم يُسارع – كما فعـل كثير من المفسِّرين – إلى ذكر شئٍ من حديث أُبيِّ بن كعب المشهور في فضائل سور القرآن سورةً سورةً[٣]؛ حيث نبَّه علماؤنـا – رحمهـم الله تعالى – على وضعه، وأجمعوا على ردِّه.**

---

(١) الفيض العميم ص: ١٩٩.

(٢) الفيض العميم ص: ٢٢٣.

(٣) ذكره بعضهم في مقدمة تفسيره لكلّ سورةٍ كالثعلبي وتلميذه الواحدي، وبعضهم في خاتمة تفسيره لكلّ سورةٍ كالزمخشري والبيضاوي – عليهم جميعًا سحائب الرحمة - لكن مَنْ أبرز سنده، وذكره كالثعلبي والواحدي فهو أبسط لعذره؛ إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده، والبحث عن رواته، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه، وأمَّا مَنْ لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم، كالزمخشري والبيضاوي فخطؤه أفحش، وعذره أبعد. يُنظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ أبي شهبة ص: ٣٠٨.

ومن هؤلاء العلماء: العلامة ابن الصَّلاح حيث يقول – عليه الرحمة – في معرض كلامه على الحديث الموضوع:" وَهَكَذَا حَالُ الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ سُورَةً فَسُورَةً. بَحَثَ بَاحِثٌ عَنْ مُخْرَجِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ وَجَمَاعَةً وَضَعُوهُ، وَإِنَّ أَثَرَ الْوَضْعِ لَبَيِّنٌ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ أَخْطَأَ الْوَاحِدِيُّ الْمُفَسِّرُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي إِيدَاعِهِ تَفَاسِيرَهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".أهـ(١).

ومنهم كذلك: العلامة الزركشي – رحمه الله – إذ يقول: " وأمَّا حديث أُبيٍّ بن كَعْبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فِي فَضِيلَةِ سُوَرِهِ سُورَةً سُورَةً فَحَدِيثٌ مَوْضُوعٌ".أهـ(٢).

وقبل أن أضع القلم عن هذا المطلب الشريف أُحبُّ أن أُنبِّه القارئ الكريم إلى مسألةٍ مهمةٍ، وهي: أنَّ عدم ورود حديثٍ صحيحٍ في فضل قراءة سورةٍ معينةٍ لا يعني أنَّ قارئها لا يُثاب على قراءتها؛ فإنَّ فضل قراءتها داخلٌ في الثواب العام لقراءة القرآن الوارد في بعض الأحاديث الصحيحة، كقوله– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

(١) معرفة أنواع علوم الحديث، المعروف بمقدمة ابن الصلاح (النَّوْعُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ الْمَوْضُوعِ) ص: ١٠٠، ١٠١.

(٢) البرهان في علوم القرآن (النَّوْعُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِ) (٤٣٢/١).

فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1].

هذا، وإنَّ مباحث علوم القرآن التي تعرَّض لها شيخنا الدمنهوري في تفسيره كثيرةٌ ومتنوعةٌ، وأرى أنَّ ما ذكرتُه منها في هذا المطلب يكفي للدلالة على عنايته الفائقة بقضايا علوم القرآن، ويُوضِّح منهجه في عرضها.

## المطلب الثاني: عناية الدمنهوري بالتفسير بالمأثور[2]

من المعلوم أنَّ تفسير القرآن المجيد يُطلب أول ما يُطلب من القرآن نفسه؛ إذ قائل الكلام هو خير مَنْ يُفسِّره، لأنَّه أدرى بمعانيه ومقاصده

(١) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب فضائل القرآن- باب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ مَالَهُ مِنَ الأَجْرِ (١٧٥/٥) رقم (٢٩١٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصحَّحه محققه.

(٢) يُطلق التفسير بالمأثور على ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وما نُقِل عن الصَّحابة - رضوان الله عليهم-، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله – تعالى- من نصوص كتابه الكريم. يُنظر: التفسير والمفسرون (١١/١).

من غيره، فَمَا أُجْمِلَ من القرآن فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اُخْتُصِرَ مِنْه فِي مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَكَانٍ آخَرَ[١].

فإن لم نظفر بتفسير القرآن من القرآن؛ فمن السُّنَّة النبويَّة الصَّالحة للحُجيَّة – أعني الثابتة بطريق صحيح أو حسن–؛ فَإِنَّهَا بمثابة البيان والتوضيح والتفصيل للقرآن، كما قال – تعالى –: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[٢]، وَقَالَ: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٣].

بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنْ الْقُرْآنِ"[٤].

فإن أعيانا البيان من السُّنَّة الثابتة؛ تطلبناه في أقوال الصحابة؛ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقُرَائِنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصُّوا بِهَا؛ وَلِمَا لَهُمْ مِنْ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَا سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ[٥]. فإن ظفرنا من قولهم بما له حكم المرفوع إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأن كان قول أحدهم فيما لا مجال للرأي فيه، ولم يكن قائله معروفًا بالأخذ عن بني إسرائيل، أو كان .. ولكنّ مرويه ممَّا

---

(١) يُنظر: مقدمة في أُصول التفسير لابن تيمية ص: ٣٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/١).

(٢) النحل: ٤٤.

(٣) النحل: ٦٤.

(٤) يُنظر: مقدمة في أُصول التفسير لابن تيمية ص: ٣٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/١).

(٥) يُنظر: المصدران السابقان.

**لا صلة له بما لدى بني إسرائيل؛ وجب أن نأخذ بهذا القول أخذنا بالحديث المرفوع بلا أدنى فرقٍ[١] .**

**فإن لم نجد البيان في أقوال الصحابة؛ تطلبناه في أقوال التابعين، فإن أجمعوا على شيء؛ أخذنا به لأجل الإجماع. فإن لم يكن إجماع؛ ننظر.... فإن ظفرنا من قولهم بما له حكم المرفوع المرسل – بأن كان قول أحدهم فيما لا مجال للرأي فيه، ولم يكن قائله معروفًا بالأخذ عن بني إسرائيل، أو بأن يكون قائله إمامًا من أئمة التفسير الآخذين عن الصَّحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو يتأيَّد قوله بمرسل آخر مثله أو نحو ذلك –؛ فالرَّاجح حينئذٍ الأخذ بمثل هذا القول[٢]. فهذه أربعة ألوان من التفسير التزمها علماء القرآن عبر القرون، وأطلقوا عليها مصادر التفسير بالمأثور، وأوجبوا الأخذ بها، والتعويل عليها على هذا الترتيب السابق ذكره .. لكن شريطة ألا يتعارض أيٌّ منها تعارضًا حقيقيًّا يتعذر فيه الجمع مع المعقول القطعي، فإن وقع مثل ذلك التعارض؛ وجب تأويل المنقول، وطرح ظاهره لأجل المعقول[٣].**

**وقد التزم شيخنا الدمنهوري – طيَّب الله ثراه – نهج مَنْ سبقه من المفسِّرين، وسار على دربهم، واقتفى أثرهم، فاعتمد في تفسيره على ما جاء بيانه في القرآن ذاته، وما رُوي في السُّنَّة النبويَّة، وما ورد من أقوال الصَّحابة والتابعين.**

---

(١) يُنظر: الدخيل في التفسير لشيخ أشياخنا أ. د/ إبراهيم خليفة ص: ٢٨، ٢٩.

(٢) المصدر السابق ص: ٣١.

(٣) المصدر السابق ص: ٣٣.

وفي هذه الصفحات سأعرض لك – أيها القارئ الكريم – عنايته الفائقة بهذه التفاسير الأربعة بالقدر الذي يُظهر ويُجلِّي منهجه في اعتماده عليها، فإليك بيانها:

## أولًا: تفسيره القرآن بالقرآن

رجع شيخنا الدمنهوري – رحمه الله – في تفسيره الآية وبيان معناها إلى القرآن نفسه، فتراه يستشهد ببعض الآيات التي لها شبهٌ أو علاقة بالآية التي يُفسِّرها.

ويمكن توضيح منهجه في تفسير القرآن بالقرآن فيما يلي:

١ – يُفسِّر اللفظة القرآنية ثم يذكر ما يُؤيِّد ذلك من القرآن، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا}(١) قال:" والأثقال جمع ثِقْل وهو متاع البيت، نحو {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ}(٢)".أهـ(٣).

وعند تفسير قوله – تعالى–: { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}(٤) قال: " الْخَيْرُ: الْمَالُ مِنْ قَوْلِهِ – تَعَالَى–: {إِنْ تَرَكَ خَيْراً}(٥)، وَقَوْلِهِ: {وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً}(٦)".أهـ(٧).

---

(١) الزلزلة: ١.
(٢) النَّحْل: ٧.
(٣) الفيض العميم ص: ٥٤.
(٤) العاديات: ٨.
(٥) البَقَرَة: ١٨٠.
(٦) المَعَارج: ٢١.
(٧) الفيض العميم ص: ١٣٨.

وعند تفسير قوله – تعالى–: {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ}(١) قال: "والتَضْلِيل: التَضْيِيع وَالإِبْطَال، ومنه {وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ}(٢) ".أهـ(٣).

٢ – يفسِّر معنى الآية بآيةٍ أخرى، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}(٤) قال: " وَبِالْجُمْلَة فَشَرْحُ الصَّدْرِ عِبَارَةٌ عَنْ عِلْمِه بِحَقَارَةِ الدُّنْيَا وَكَمَال الْآخِرَة، وَنَظِيرُهُ قَوْلِه: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجًا }(٥)".أهـ(٦).

وعند تفسير قوله – تعالى–: { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}(٧) قال: "دِينُ اللَّه – تَعَالَى– المراد به هُنا الْإِسْلَامُ، قَال – تَعَالَى– : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ}(٨)، وَقَال: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}(٩)".أهـ(١٠).

---

(١) الفيل: ٢.
(٢) غافر:٢٥.
(٣) الفيض العميم ص: ١٧٦.
(٤) الشرح: ١.
(٥) الأنعَام: ١٢٥.
(٦) الفيض العميم ص:٦٣.
(٧) النصر: ٣.
(٨) آل عِمْرَانَ: ١٩.
(٩) آل عِمْرَانَ: ٨٥.
(١٠) الفيض العميم ص:٢١٠.

وعند تفسير قوله – تعالى–: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }[١] قال:" و{النَّاسِ} بيانٌ لمَنْ يُوسوس؛ لأنَّ الشيطان إنسيٌّ وجنِّيٌّ؛ لقوله – تعالى–: { شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}[٢]".أهـ[٣].

٣ – يفسِّر أسلوب الآية بأسلوب آيةٍ أخرى، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {وَالضُّحى (١) وَاللَّيْلِ إِذا سَجى }[٤] قال: " فإن قيل: مَا الْحِكْمَةُ فِي تقديم اللَّيْلِ فِي السُّورَةِ الْمَاضِيَةِ، وَتأخيره فِي هَذِهِ السُّورَةِ ؟ فالجواب أنَّ تقديم اللَّيْلِ فِي السُّورَةِ المتقدمة باعتبار الأصالة، وتقديم النَّهَار هنا باعتبار الشرف، ولأَنَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تَنْتَظِمُ مَصَالِحُ الْمُكَلَّفِينَ، وَلِلَّيْلُ فَضِيلَةُ السَّبْقِ بقَوْلِه: { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}[٥]، وَلِلنَّهَارِ فَضِيلَةُ النُّورِ، فَلَمَّا كَانَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ فَضِيلَةٌ لَيْسَتْ فِي الْآخَرِ، قُدِّمَ هَذَا عَلَى ذَاكَ تَارَةً، وَذَاكَ عَلَى هَذَا أُخْرَى، وَنَظِيرُهُ أَنَّ الله – تَعَالَى– قَدَّمَ السُّجُودَ عَلَى الرُّكُوعِ فِي قَوْلِه – تعالى –: {وَاسْجُدِي وَارْكَعِي}[٦]، ثُمَّ قَدَّمَ الرُّكُوعَ عَلَى السُّجُودِ فِي قَوْلِهِ: {ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}[٧]".أهـ[٨].

---

(١) النَّاس: ٧.

(٢) الأنْعَام: ١١٢.

(٣) الفيض العميم ص:٢٤٥.

(٤) الضحى: ١، ٢.

(٥) الأنْعَام: ١.

(٦) آل عِمْرَانَ: ٤٣.

(٧ ) الْحَج: ٧٧.

(٨) الفيض العميم ص:٤٧.

وعند تفسير قوله – تعالى–: {فَلْيَدْعُ نادِيَهُ }(١) قال: " نادِيَهُ: مجلسه، والجمع النوادي، والمعنى: فليدع أهل ناديه، نحو {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ}(٢) أي: اسأل أهل القرية"".أهـ(٣).

وعند تفسير قوله – تعالى–: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ }(٤) قال: " {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} أَيْ أَتَتْهُمْ، كقوله – تعالى–: {ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ}(٥) أَيْ مَا تَلَتْ".أهـ(٦).

ومراده – رحمه الله – التعبير بلفظ الْمُضَارِعِ وَالمراد به الْمَاضِي.

٤ – يجمع الآيات التي تتحدث عن موضوعٍ واحد، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ}(٧) قال: " وَجَعَلَ ذِكْرَهُ فِي الْقُرْآنِ مَقْرُونًا بِذِكْرِهِ: { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ}(٨)،

{ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}(٩)، {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}(١٠)".أهـ(١١).

---

(١) العلق: ٨.

(٢) يوسف:٨٢.

(٣) الفيض العميم ص:٨٤.

(٤) البيّنة: ١.

(٥) الْبَقَرَة: ١٠٢.

(٦) الفيض العميم ص:١١٤.

(٧) الشرح: ٤.

(٨) التَّوْبَة: ٦٢.

(٩) النساء: ١٣.

(١٠) النور: ٥٤.

(١١) الفيض العميم ص:٦٧.

وعند تفسير قوله – تعالى–:{ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}(١) قال: "وقد وَصَفَ اللَّهُ تَغَيُّرَ الْأَحْوَالِ عَلَى الْجِبَالِ مِنْ وُجُوهٍ، أَوَّلُهَا: أَنْ تَصِيرَ قِطَعًا، كَمَا قال:{ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}(٢)، وَثَانِيهَا: أَنْ تَصِيرَ كَثِيبًا مَهِيلًا، كَمَا قَالَ – تعالى–:{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}(٣)، ثُمَّ تَصِيرُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، وَهِيَ أَجْزَاءٌ كَالذَّرِّ تَدْخُلُ مِنْ كُوَّةِ الْبَيْتِ لَا تَمَسُّهَا الْأَيْدِي، ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّابِعِ تَصِيرُ سَرَابًا، كَمَا قَالَ { وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا}(٤)".أهـ(٥).

وعند تفسير قوله – تعالى–:{ وَالْعَصْرِ}(٦) قال: " ....أو: زَمَانِ الرَّسُولِ أَيْ وَالْعَصْرِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَهُوَ – تَعَالَى– أَقْسَمَ بِزَمَانِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ: { وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}(٧)، وَبِعُمُرِهِ فِي قَوْلِهِ: { لَعَمْرُكَ}(٨)، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَعَصْرِكَ وَبَلَدِكَ وَعُمُرِكَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ كَالظَّرْفِ لَهُ، فَإِذَا وَجَبَ تَعْظِيمُ الظَّرْفِ فَقَسْ حَالَ الْمَظْرُوفِ، كَأَنَّهُ – تَعَالَى– يَقُولُ: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَضَرْتَهُمْ وَدَعَوْتَهُمْ، وَهُمْ أَعْرَضُوا عَنْكَ وَمَا الْتَفَتُوا إِلَيْكَ، فَمَا أَعْظَمَ خُسْرَانَهُمْ وَمَا أَجَلَّ خِذْلَانَهُمْ".أهـ(٩).

---

(١) القارعة: ٦.
(٢) الحَاقَّة: ١٤.
(٣) النَّمْل: ٨٨.
(٤) النَّبَأ: ٢٠.
(٥) الفيض العميم ص:١٤٤.
(٦) العصر: ١.
(٧) البَلَد: ٢.
(٨ ) الحِجْر: ٧٢.
(٩) الفيض العميم ص:١٥٩.

٥ – يرجِّح في تفسير الآية قولًا على قولٍ أو يُضعِّفه ويردَّه استنادًا إلى آية أخرى، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}(١) قال: " واختلفوا في وقتها، فأكثرهم على أنَّها في شهر رمضان، فبضٌ قال في أوله، وبعضهم ليلة سبعة عشر، والأكثر على أنَّها في العشر الأواخر، دليل كونها في رمضان قَوْله – تَعَالَى–: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}(٢)، وَقَالَ: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} فَوَجَبَ أَنَّ تَكُونَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ لِئَلَّا يَلْزَمَ التَّنَاقُضُ".أهـ(٣).

وعند تفسير قوله – تعالى–:{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}(٤) قال: " وما قيل: من أنَّ حسنة الكافر تؤثِّر في نقصان العقاب يردُّه قَوْله – تَعَالَى–: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}(٥)".أهـ(٦).

٦ – يذكر لكلِّ قولٍ محتملٍ في الآية ما يُؤيِّده ويوضِّحه من القرآن، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى}(٧) قال: " { كَلَّا} رَدْعٌ لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّه لطُغْيَانِه، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ

(١) القدر: ١.
(٢) الْبَقَرَة: ١٨٥.
(٣) الفيض العميم ص:١٠٣.
(٤) الزلزلة: ٧، ٨.
(٥) الفرقان: ٢٣.
(٦) الفيض العميم ص:١٣٠.
(٧) العلق: ٦.

لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وقيل: إنَّها بِمَعْنَى حقًّا، نحو{كَلَّا وَالْقَمَرِ}[١] بِمَعْنَى: إي وَالْقَمَرِ".أهـ[٢].

وعند تفسير قوله – تعالى–:{ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}[٣] قال: " قيل: الْمُرَادُ مِنَ الزَّلْزَلَةِ: النَّفْخَةُ الْأُولَى لقَوْلِهِ – تعالى –: { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}[٤] أَيْ تُزَلْزَلُ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى، فيكون من أشراط السَّاعة، والمعنى أنَّها حين وقعت لم يعلم الكلُّ أنَّها من الأشراط، فيسأل بعضهم بعضًا عن ذلك، ثُمَّ تُزَلْزَلُ ثَانِيةً فَتُخْرِجُ مَوْتَاهَا وَهِيَ الْأَثْقَالُ، وَقِيلَ: الثَّانِيَةُ لأَنَّهُ جَعَلَ مِنْ لَوَازِمِهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الزَّلْزَلَةِ الثَّانِيَةِ".أهـ[٥].

٧ – يستشهد على ما يستنبطه من الآية من فوائد بآيةٍ أخرى، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[٦] قال: "وذَكَرَ الصَّدْرَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْقَلْبَ؛ لِأَنَّ مَحَلَّ الْوَسْوَسَةِ هُوَ الصَّدْرُ عَلَى مَا قَالَ: { يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}[٧]، فَإِزَالَةُ تِلْكَ الْوَسْوَسَةِ وَإِبْدَالُهَا بِدَوَاعِي الْخَيْرِ هِيَ الشَّرْحُ".أهـ[٨].

---

(١ ) المُدَّثِّر: ٣٢.

(٢) الفيض العميم ص:٩٢.

(٣) الزلزلة: ١.

(٤) النَّازِعَات: ٦، ٧.

(٥) الفيض العميم ص:١٢٦.

(٦) الشرح: ١.

(٧) النَّاس: ٥.

(٨) الفيض العميم ص:٦٤.

وعند تفسير قوله – تعالى–:{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}(١) قال: " وتخصيص الصَّدر بذلك؛ لأنَّه محلُّ القلب الذي هو أصلٌ لجميع ما يظهر؛ لِأَنَّ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ تَابِعَةٌ لِأَعْمَالِ الْقَلْبِ فَإِنَّهُ لَوْلَا الْبَوَاعِثُ وَالْإِرَادَاتُ فِي الْقُلُوبِ لَمَا حَصَلَتْ أَفْعَالُ الْجَوَارِحِ، وَلِذَلِكَ إِنَّهُ – تَعَالَى– جَعَلَهَا الْأَصْلَ فِي الذَّمِّ فَقَالَ: {آثِمٌ قَلْبُهُ}(٢)، وَالْأَصْلُ فِي الْمَدْحِ، فَقَالَ: { وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}(٣)".أهـ(٤).

وعند تفسير قوله – تعالى–:{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ }(٥) قال: "وفِي قَوْلِهِ: { يَدُعُّ} بِالتَّشْدِيدِ فَائِدَةً، وَهِيَ أَنَّ يَدُعُّ بِالتَّشْدِيدِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَعْتَادُ ذَلِكَ، فَلَا يتناول الوعيد مَنْ وُجِدَ مِنْهُ ذَلِكَ وَنَدِمَ عَلَيْهِ، وَمِنه قَوْلُهُ – تَعَالَى–: { الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ}(٦)، سُمِّيَ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِ لَمَمًا لِأَنَّهُ كَالطَّيْفِ وَالْخَيَالِ يَطْرَأُ وَلَا يَبْقَى، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ كَمَا يَفْرُغُ مِنَ الذَّنْبِ يَنْدَمُ، وَالْمُكَذِّبُ هُوَ الَّذِي يُصِرُّ عَلَى الذَّنْبِ".أهـ(٧).

٨ – يُقارن بين الآيات المتشابهة من حيث اللفظ والمعنى، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) العاديات: ٥.
(٢) الْبَقَرَة: ٢٨٣.
(٣) الأنْفَال: ٢.
(٤) الفيض العميم ص:١٣٩.
(٥) الماعون: ٢.
(٦) النَّجْم: ٣٢.
(٧) الفيض العميم ص:١٣٩.

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}[١] قال: " فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ – تَعَالَى– قَالَ فِي سُورَةِ التِّينِ: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[٢] فَهُنَاكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِابْتِدَاءَ مِنَ الْكَمَالِ والانتهاء إلى النقصان، وهاهنا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِابْتِدَاءَ مِنَ النُّقْصَانِ وَالِانْتِهَاءَ إِلَى الْكَمَالِ، فَكَيْفَ وَجْهُ الْجَمْعِ؟ قُلْنَا: الْمَذْكُورُ في سورة التين أحوال البدن، وهاهنا أحوال النفس فلا تناقض بين القولين".أهـ[٣].

وعند تفسير قوله – تعالى–:{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ }[٤] قال: " فإن قيل: ما الحكمة في قوله – تَعَالَى– في التحريم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا}[٥]، ولم يذكر قل، وهنا قال: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} بذكر { قُلْ}، وَذَكَرَهُ بِاسْمِ الْفَاعِلِ؟ أُجيب بأنَّه في سورة التحريم إِنَّمَا يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَثَمَّ لَا يَكُونُ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، وَهم فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُطِيعونَ لَا كَافِرونَ؛ فلذلك عبَّر بالماضي، وأمَّا هنا فَكَانُوا مَوْصُوفِينَ بِالْكُفْرِ، وَكَانَ رَسُولًا إليهم، فعبَّر بـــــــــــ: { يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}".أهـ[٦].

وعند تفسير قوله – تعالى–:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابًا}[٧] قال: " فإن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: بِحَمْدِ اللَّهِ كما قَالَ: { فِي دِينِ اللَّهِ}[٨]،

---

(١) العصر: ٢.
(٢) التين: ٤، ٥.
(٣) الفيض العميم ص: ١٦٢.
(٤) الكافرون: ١.
(٥) التحريم: ٧.
(٦) الفيض العميم ص: ٢٠٠.
(٧) النصر: ٣.
(٨) النصر: ٢.

و{ نَصْرُ اللَّه}[١]؟ فالْجَوَابُ: أَنَّهُ – تَعَالَى– رَاعَى الْعَدْلَ فَذَكَرَ اسْمَ الذَّات مَرَّتَيْنِ وَذَكَرَ اسْمَ الْفِعْلِ مَرَّتَيْنِ أَحَدُهُمَا: الرَّبُّ وَالثَّانِي: التَّوَّابُ، وَلَمَّا كَانَتِ التَّرْبِيَةُ تَحْصُلُ أَوَّلًا، وَالتَّوبةُ آخِرًا، ذَكَرَ الرَّبَّ أَوَّلًا و[ التَّوَّاب][٢] آخِرًا".أهـ[٣].

وعند تفسير قوله – تعالى–: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ }[٤] قال: " فإن قيل: لِمَ قال هنا: { لَمْ يَلِدْ}، وَفِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: { لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}[٥]؟ فالْجَوَابُ: أَنَّ الْوَلَدَ إِمَّا حَقِيقِيٌّ وهو المتولَّد منه، أو غير حَقِيقِيٍّ وهو غير المتولَّد المسمَّى بهذا الاسم، وَالنَّصَارَى فَرِيقَانِ: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: عِيسَى وَلَدُ اللَّه حَقِيقَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اتَّخَذَهُ وَلَدًا تَشْرِيفًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا تَشْرِيفًا، فَالأول إِشَارَةٌ إِلَى نَفْيِ الأول، والثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى نَفْيِ الثَّانِي".أهـ[٦].

٩ – لا يكتفي بذكر الآية المفسِّرة بل يُفسِّرها أحيانًا، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}[٧] قال: " وأصل الوزر الثِّقْل وما حمله الإنسان، ومنه: { حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ}[٨] أي: أثقالًا من حُليِّهم، وقوله: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}[١]

---

(١) النصر: ١.
(٢) في الفيض العميم ( التوبة)، وما أثبته يقتضيه السياق.
(٣) الفيض العميم ص: ٢١٤.
(٤) الإخلاص: ٣.
(٥) الإسْرَاء: ١١١.
(٦) الفيض العميم ص: ٢٢٨.
(٧) الشرح: ٢.
(٨) طه: ٨٧.

أي: حتَّى يضع أهلُ الحربِ السِّلاح حتَّى لا يبقى إلا مسلمٌ أو مسالمٌ، وسُمِّي السِّلاح وِزْرًا لأنَّه يُحمل".أهـ(٢).

ومن الملاحظ عليه – رحمه الله – في تفسيره القرآن بالقرآن: دقته البالغة في تفسير بعض الآيات ببعض حيث فسَّر كلَّ آيةٍ بما يوضِّحها ويجلِّي المراد منها، بل لا يكاد يذكر آيةً في تفسير آيةٍ إلا وبينهما علاقةٌ أو مناسبةٌ من أي وجهٍ من الوجوه.

## ثانيًا: تفسيره القرآن بالسُّنَّة

نظرًا لأهميَّة السُّنة المُشرَّفة في تفسير القرآن فقد عُني بها شيخنا الدمنهوري في تفسيره أيما عناية، فيذكر الأحاديث التي تُفسِّر الآية وتوضِّحها، والتي لها علاقة بها من أي وجهٍ من الوجوه، ومن خلال مطالعتي لتفسيره يُمكنني تحديد منهجه في تفسيره القرآن بالسُّنَّة على النحو التالي:

١ – يفسِّر معنى الآية بما ورد في السُّنَّة المطهرة، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ }(٣) قال: " { وَاقْتَرِبْ} أي: وتقرَّب إلى ربِّك بطاعته وبالدعاء إليه، أي: ابْتَغِ

(١) محمد: ٤.
(٢) الفيض العميم ص: ١٨٨.
(٣) العلق: ١٩.

بِسُجُودِكَ قُرْبَ الْمَنْزِلَةِ مِنْ رَبِّكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: « أقرب ما يكون العبد مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»(١) ".أهـ(٢).

وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-: {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}(٣) قال: " أَنْ يجعل اللَّهَ الأرض حيوانًا عاقلًا ناطقًا، وَيُعَرِّفُهَا جَمِيعَ مَا عُمِلَ عَلَيْهَا فَحِينَئِذٍ تَشْهَدُ لِمَنْ أَطَاعَ وَعَلَى مَنْ عَصَى، قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَامُ-: « إِنَّ الْأَرْضَ لَتُخْبِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ عَمَلٍ عُمِلَ عَلَيْهَا» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ(٤)".أهـ(٥).

وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}(٦) قال: " جواب القسم أي: لكفورٌ، من كَنَدَ النِّعْمَةَ كُنُودًا، أو لعاصي بلغة كِنْدة، أو لبخيلٌ بلغة بني مالك، أو الذي يعدُّ المصائب وينسى النِّعم، أو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئًا، وَفِي الْحَدِيثِ: « هُوَ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ»(٧)".أهـ(١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الصَّلاة -باب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٣٥٠/١) رقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) الفيض العميم ص: ١٠٠.

(٣) الزلزلة: ٤.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٩/٩) رقم (٦٩١٣) من رواية رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عنْ أَنَسٍ، ثم قال: " وَرِشْدِينُ ضَعِيفٌ"، ويُنظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢٦١/٤، ٢٦٢).

(٥) الفيض العميم ص: ١٢٨.

(٦) العاديات: ٦.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٨/٨) رقم (٧٧٧٨)، (٢٤٥/٨) رقم (٧٩٥٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب التفسير – باب سُورَةُ

**٢ – يفسِّر اللفظة القرآنية، ثمَّ يذكر ما يُؤيِّد ذلك من السُّنَّة المطهرة، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}(٢) قال: "والفراش: الطير الذي يتساقط في النَّار والسِّراج، الواحدة : فراشة، وبه يُضرب المثل في الطَّيْش، يُقال: أطيَشُ من فراشة، وسُمِّي فراشًا لتفرشه وانتشاره، وَفِي الْحَدِيث: « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ(٣) وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»(٤)".أهـ(٥).**

**٣ – يذكر لكلِّ قولٍ محتملٍ في الآية ما يُؤيده ويوضِّحه من السُّنَّة، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}(٦) قال: " أي: قنَّعك فرضَّاك بما أعطاك من الرزق، وذلك حقيقة الغنى، قال : « لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى**

---

وَالعَادِيَاتِ (١٤٢/٧) رقم (١١٥١٦) كلاهما عن أبي أُمامة، وقال: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ، فِي أَحَدِهِمَا جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَفِي الْآخَرِ مِنْ لَمْ أَعْرِفْهُ".أهـ.

(١) الفيض العميم ص: ١٤٩.

(٢) القارعة: ٤.

(٣ ) الجَنَادِب جَمْع جُنْدُب بِضَمّ الدَّالّ وفَتْحِها- وَهُوَ ضَرْب مِنَ الجرَادِ. وَقِيلَ هُو الَّذِي يَصِرُّ فِي الْحَرّ. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٠٦/١) مادة (جُنْدَبٌ).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الصَّلاة –باب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١٧٩٠/٤) رقم (٢٢٨٥) من حديث جابر بن عبد الله.

(٥) الفيض العميم ص: ١٤٢، ١٤٣.

(٦) الضحى: ٨.

**النَّفْسِ»[١]، وقال: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[٢]. وقيل: أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب، ولمَّا اختلَّ ذلك أغناه بمال أبي بكر، ولمَّا اختلَّ ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم، رُوي عنه أنَّه قال: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»[٣]".أهـ[٤].**

**٤ – يرجِّح في تفسير الآية قولًا على آخر استنادًا إلى حديث نبويٍّ شريف، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}[٥]، فبعد أن ذكر أقوال العلماء في تعيين ليلة القدر قال:" وحجة الأكثر القائل بانحصارها في العشر الأواخر من رمضان أحاديث متعددة، منها ما رُوي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»[٦]، حين سألوه عن وقت التماسها، وقد واظب– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الرقاق - باب الغِنَى غِنَى النَّفْسِ (٩٥/٨)، رقم (٦٤٤٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة - باب لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ (٧٢٦/٢)، رقم (١٠٥١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة - باب لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ (٧٣٠/٢)، رقم (١٠٥٤ ) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الجهاد والسير- باب مَا قِيلَ فِي الرِّمَاحِ (٤٠/٤).

(٤) الفيض العميم ص: ٥٦، ٥٧.

(٥) القدر: ١.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب فضل ليلة القدر- باب تَحَرِّي لَيْلَةِ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ (٤٦/٣)، رقم (٢٠١٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الصيام - باب فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِهَا، وَبَيَانِ مَحَلِّهَا وَأَرْجَى وُقَاتِ طَلَبِهَا (٨٢٤/٢)، رقم (١٦٧) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

**على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان حتَّى توفاه الله – تعالى[١]".أهـ[٢].**

**٥ – يستشهد على ما يستنبطه من الآية من فوائد بحديث نبويٍّ شريف، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-:{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}[٣] قال: " وفي الآية دلالةٌ على اللطف باليتيم والإحسان إليه، قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « مَنْ ضمَّ يتيماً وكان في نفقته وكفاه مؤنته، كان له حجاباً من النَّار يوم القيامة»[٤]، وقال: «مَنْ مسح برأسِ يتيمٍ كان**

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه – كتاب الاعتكاف- باب الِاعْتِكَافِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالِاعْتِكَافِ فِي المَسَاجِدِ كُلِّهَا (٤٧/٣)، رقم (٢٠٢٦)، ومسلم في صحيحه – كتاب الصيام - باب فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ، وَالحَثِّ عَلَى طَلَبِهَا، وَبَيَانِ مَحَلِّهَا وَأَرْجَى أَوْقَاتِ طَلَبِهَا (٨٣١/٢)، رقم (١١٧٢) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ».

(٢) الفيض العميم ص: ١٠٤.

(٣) الضحى: ٩.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ في كتب الحديث، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٧٠/٣١) رقم (١٩٠٢٥ ) من حديث مَالِكِ بْنِ الحَارِثِ بلفظ: « مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ البَتَّةَ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، كَانَ فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِي لِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»، وقال محققوه: "حديث صحيح لغيره ".أهـ.

**له بكلِّ شعرةٍ حسنَةٌ»**(١)".أهـ(٢).

**٦ – يذكر الأحاديث التي لها علاقة بالآية التي يُفسِّرها من أيِّ وجه من الوجوه، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله –تعالى–:{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ}**(٣) **قال:** " **رُوي أنَّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان إذا قرأها قال: « بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»**(٤)".**أهـ**(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٤/٣٦) رقم (٢٢١٥٣)، والطبراني في الكبير(٢٣٨/٨) رقم (٧٩٢٩)من حديث أَبِي أُمَامَةَ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب الْبِرّ وَالصِّلَةِ – باب مَا جَاءَ فِي الْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ (١٦٠/٨) رقم (١٣٥١٤)، وقال: "رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَلْهَانِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ".أهـ.

(٢) الفيض العميم ص: ٥٨.

(٣) التين: ٨.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٣/١٢) رقم (٧٣٩١) من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « مَنْ قَرَأَ: {وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا}[المرسلات: ]١ فَقَالَ: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات: ٥٠]فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللهِ، وَمَنْ قَرَأَ: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}[التين: ]، فَلْيَقُلْ: بَلَى، أَنَا وَعَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠]، فَلْيَقُلْ: بَلَى»، وقال محققوه: "إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة". أهـ، وأخرجه الترمذي في أبواب التفسير – باب ومن سورة التين (٤٤٣/٥) رقم (٣٣٤٧) مقتصرًا على ما يتعلق بـ (التين)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا يُرْوَى بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا يُسَمَّى". أهـ.

(٥) الفيض العميم ص: ٨٣.

وعند تفسير قوله – تعالى–:{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}[١]، قال: " ومن فضائلها: أنَّ مَنْ قامها غُفرت ذنوبه؛ لحديث: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢]".أهـ[٣].

٧ – لا يكتفي بذكر الأحاديث بل يُعلِّق على بعضها – أحيانًا– بما يشرح معناها ويوضِّح غامضها، ويُجلِّي المراد منها، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في آخر تفسير سورة البيِّنة، قال: " ورُوي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لِأُبَيٍّ: « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا}[٤]، قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى»[٥]. فبكاؤه كان سُروراً واستصغاراً لنفسه عن تأهله لهذه النِّعمة العظيمة، وإعطائه هذه المنزلةَ الكريمةَ، والنِّعمةُ عليه فيها من وجهين: أحدهما: كونه منصوصًا عليه بعينه، والثاني: قراءة النَّبيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عليه، فإنَّها منقبةٌ عظيمة لم يُشاركه فيها أحدٌ من الصَّحابة، وقيل: إنَّما بكى خوفًا من تقصيره من شكره هذه النِّعمةَ. وأمَّا تخصيص هذه السُّورة بالقراءة

---

(١) القدر: ٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصوم – باب مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً (٢٦/٣) رقم (١٩٠١) من حديث أبي هريرة.

(٣) الفيض العميم ص: ١٠٩.

(٤) البينة: ١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب تفسير القرآن –باب سُورَةُ لَمْ يَكُنْ (١٧٥/٦) رقم (٤٩٥٩)، ومسلم في صحيحه- كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا– باب اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ، وَالْحُذَّاقِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ الْقَارِئُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَقْرُوءِ عَلَيْهِ (٥٥٠/١) رقم (٧٩٩) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

**فإنَّها مع وجازتها جامعةٌ لأصولٍ وقواعدَ ومهمَّاتٍ عظيمة، وكان الحالُ يقتضي الاختصار. وأمَّا الحكمة في قراءة النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أُبيّ فهي أن يتعلم أُبيٌّ القراءة من ألفاظه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكانت قراءته على أُبيّ ليتعلم أُبيٌّ منه لا ليتعلم هو من أُبيّ.....".أهـ(١).**

**وممَّا يُلاحظ عليه – رحمه الله – في تفسيره القرآن بالسُّنة أنَّه:**

**- لم يلتزم بتخريج الأحاديث التي ذكرها، ولم ينسبها إلى مصادرها من كتب السُّنَّة، بل يُخرِّجها أحيانًا، وفي الأعمِّ الأغلب لا يفعل. ومن أمثلة النادر الذي نسبه إلى مصدره: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}(٢) قال: " وفي الترمذي: « كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا»(٣)".أهـ(٤).**

**وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-:{نارٌ حامِيَةٌ }(٥) قال: "روى مسلمٌ أنَّ النبيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَإِنَّها لَكَافِيَةٌ، يَا رَسُولَ**

---

(١) الفيض العميم ص: ١٢٣، ١٢٤.

(٢) التين: ١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الأطعمة – باب ما جاء في أكل الزيت (٤/٢٨٥) رقم (١٨٥١) من حديث زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وصحَّحه محققه، ورقم (١٨٥٢)من حديث أَبِي أَسِيدٍ، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى"، وقال محققه: "صحيح لغيره". أهـ.

(٤) الفيض العميم ص: ٧٥.

(٥) القارعة: ١١.

**اللهِ، قَالَ: « فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءً»[١] نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب".أهـ[٢].**

**- لم يلتزم ذكر الرواي الأعلى في الأعمِّ الأغلب.**

**- لم يتعرَّض لبيان درجة الأحاديث من حيثُ الصحةُ والضعفُ.**

**- لم يلتزم ذكر الصحيح مع أنَّ فيه الغناء أتمَّ الغناء، وإنَّما أورد في تفسيره من الصحيح الكثير، وفي بعض الأحيان يُورد أحاديث ضعيفةً بل وموضوعةً، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى-:{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}[٣] قال: "رُوِيَ أَنَّهُ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَبَقٌ مِنْ تِينٍ فَأَكَلَ مِنْهُ، وقَالَ لِأَصْحَابِهِ: « كُلُوا، فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ لَقُلْتُ: التِّين، لِأَنَّ فَاكِهَةَ الْجَنَّةِ بِلَا عجَمٍ، فَكُلُوا منهَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الْبَوَاسِيرَ، وَتَنْفَعُ مِنَ النِّقْرِسِ، وَتُزِيلُ نَكْهَةَ الْفَمِ، وَتُطَوِّلُ الشَّعْرَ، وَهُوَ أَمَانٌ مِنَ الْفَالِجِ »".أهـ[٤].**

**وهذا الحديث ضعيفٌ، قال العلامة المناوي – عليه الرحمة – معلِّقًا عليه: "رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ[٥] وَأَبُو نعيم فِي الطِّبّ[٦] من حَدِيث أبي ذَر بِإِسْنَاد**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار – باب ما جاء في شدة حرّ جهنَّم وبُعد قعرها (٢١٨٤/٤) رقم (٢٨٤٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) الفيض العميم ص: ١٤٧.

(٣) التين: ١.

(٤) الفيض العميم ص: ٧٣.

(٥) يُنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٣٨/١٠).

(٦) يُنظر: الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني (٧٦١/٢) رقم (٩٠٤).

مَجْهُول". أهـ[١].

ومن أمثلة استشهاده بالحديث الموضوع: ما ذكره عند تفسير قوله –تعالى–:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}[٢] حيث قال: "وعن عقبة بن عَامِرٍ: «عَلَيْكُمْ بِزَيْتِ الزَّيْتُون، كُلُوهُ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُ مِنَ الْبَوَاسِير»، وفي رواية: مَنِ ادَّهن بِالزَّيْتِ لَمْ يَقْرَبْه شَيْطَانٌ".أهـ[٣].

قلتُ: في هذا المثال حديثان موضوعان: الأول: أخرجه ابن أبي حاتم في العلل من طريق يحيى بن عثمان بن صالح، قال: ثنا أبي ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر به، ثم نقل أبو حاتم عن أبيه قوله:" هَذَا حديثٌ كَذِبٌ".أهـ[٤].

والثاني: أخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة، ثُمَّ قال: " أخرج البَيْهَقِيّ أَوله فِي الدَّلَائِل، ثمَّ قَالَ: وَهُوَ حَدِيث طَوِيل فِي الرغائب والآداب، قَالَ: وَهُوَ حَدِيث مَوْضُوع". أهـ[٥].

– ومما يُؤخذ عليه – رحمه الله – في مجال استشهاده بالسُّنة – أيضًا– أنَّه: نقل بعضًا من الأحاديث التي استشهد بها من كتب التفسير، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

(١) يُنظر: الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (١١٠٨/٣) رقم (١٠١٣).

(٢) التين: ١.

(٣) الفيض العميم ص: ٧٥.

(٤) يُنظر: علل الحديث لابن أبي حاتم (٨٢/٦) رقم (٢٣٣٨).

(٥) يُنظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢١٣/٢).

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }[١] قال: " وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ – الصلاة والسَّلَامُ– قَالَ: «إِنَّ الْخُلُودَ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَرِضَا اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ»".أهـ[٢].

وما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–:{ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعِيمِ}[٣] قال: "وَرُوِيَ أَنَّ شَابًّا أَسْلَمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَعَلَّمَهُ هذه السُورَةَ، ثُمَّ زَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ امْرَأَةً، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا وَرَأَى الْجَهَازَ الْعَظِيمَ وَالنَّعِيمَ الْكَثِيرَ، خَرَجَ وَقَالَ له: لَا أُرِيدُ ذَلِكَ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عنه فقال: ألست علمتني: { ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعِيمِ}، وَأَنَا لَا أُطِيقُ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ".أهـ[٤].

وما ذكره – أيضًا– عند تفسير سورة الْعَصْرِ، قال: "وَيُرْوِيَ عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّه قال: قَرَأْتُ عَلَى النَبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– { وَالْعَصْرِ}، ثُمَّ قُلْتُ: مَا تَفْسِيرُهَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: " { وَالْعَصْرِ} قَسَمٌ مِنَ اللَّه، أَقْسَمَ رَبُّكُمْ بِآخِرِ النَّهَارِ، {إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ}: أَبُو جَهْلٍ، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}: أَبُو بَكْرٍ، { وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ} عُمَرُ، { وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ}: عُثْمَانُ، {وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ}: عَلِيٌّ".أهـ[٥].

قلتُ: لم أقف على هذه الأحاديث في مظانِّها من كتب السُّنة، وإنَّما وجدتُ الشيخ الدمنهوري قد نقل الحديث الأول والثاني من تفسير الفخر

---

(١) البينة: ٨.

(٢) الفيض العميم ص: ١٢٢.

(٣) التكاثر: ٨.

(٤) الفيض العميم ص: ١٥٥.

(٥) الفيض العميم ص: ١٥٥.

**الرازي[١]، أمَّا الثالث فنقله من تفسير القرطبي – عليهم جميعًا سحائب الرحمة –[٢].**

## ثالثًا: تفسيره القرآن بأقوال الصَّحابة والتابعين

**اعتمد شيخنا الدمنهوري – طيَّب الله ثراه – كغيره من المفسِّرين على أقوال الصَّحابة والتابعين في تفسير الآيات، والكشف عن مراد الله – تعالى – منها، فتجده يستشهد بأقوالهم في توضيح المعنى، وتعيين المبهم[٣]، وبيان أسباب النزول، وغير ذلك، وقد تبيَّن لي أثناء دراستي لتفسيره أنَّه يُورد كثيرًا من تلك الأقوال دون نسبتها إلى قائليها من الصَّحابة والتابعين، ويكتفي بحكايتها بصيغة التمريض: (قيل) و(رُوي) وأمثالهما.**

**وبتتبعي لكثيرٍ من تلك الأقوال التي لم يُصرِّح بعزوها، وبرجوعي إلى كتب التفسير المسندة كجامع البيان للطبري، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم وكذا ابن كثير، ومعالم التنزيل للبغوي، والدر المنثور للسيوطي وجدتها منسوبةً إلى قائليها، ومن أمثلة ذلك:**

---

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٥٢/٣٢)، (٢٧٤/٣٢).

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/٢٠).

(٣) المبهم: اسم مفعول مشتق من الإبهام، والإبهام في اللغة: الخفاء، والمبهم في القرآن: هو ما خَفِيَ اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه ونحو ذلك. ومرجع هذا العلم النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه، وإنَّما يرجع القول فيه إلى قول النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه الآخذين عنه، والتابعين الآخذين عن الصحابة. يُنظر: تهذيب اللغة (١٧٩/٦)، ولسان العرب (٥٦/١٢) مادة (بهم)، والتعريف والإعلام للسهيلي ص: ٨، ومفحمات الأقران للسيوطي ص: ٨.

ما ذكره عند تفسير قوله – تعالى–: { فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}(١)، قال:" أَيْ فإِذَا فَرَغْتَ مِنَ صَلَاتِكَ فاجتهد فِي الدُّعَاءِ، أَوْ مِنَ الْغَزْوِ فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ، أَوْ مِنَ دُنْيَاكَ فَانْصَبْ فِي صَلَاتِكَ، أَوْ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، أَوْ مِنَ التَّشَهُّدِ فَادْعُ لِدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، أَوْ مِنَ تبليغ الرسالة فَانْصَبْ فِي الاستغفار لك وللمؤمنين". أهـ(٢).

ففي هذا المثال: نراه قد ذكر ستة أقوالٍ في تفسير الآية دون نسبتها لقائليها، وحين رجعتُ إلى تفسيري الطبري والبغوي – عليهما الرحمة – وجدتُ الأول منها قد قاله: ابن عباسٍ، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والكلبي، والثاني قاله: الحسن، وزيد بن أسلم، وابنه، والثالث قاله: مجاهد، والرابع قاله: عبد الله بن مسعود، والخامس قاله: الشعبي، والسادس قاله: حيان عن الكلبي(٣). ومن الملاحظ هنا أنَّ الدمنهوري قد عطف هذه الأقوال الستِّةَ بعضَها على بعضٍ بـــــــــــــ(أو) التي تُفيد التنويع ممَّا يدل على أنَّها كلها داخلةٌ في معنى الآية.

ومن أمثلة ذلك– أيضًا–: ما ذكره في سَبَبِ نُزُولِ سورة الإخلاص، قال: "..... وقيل: السَّببُ أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّه– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَعَهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَذَا اللَّهُ الذي خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَغَضِبَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَسَكَّنَهُ، وَقَالَ: اخْفِضْ جَنَاحَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَنَزَلَ: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}(٤)، فَلَمَّا تَلَاها عَلَيْهِمْ، قَالُوا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ كَيْفَ عَضُدُهُ، وَكَيْفَ

(١) الشَّرح: ٧.
(٢) الفيض العميم ص: ٧١.
(٣) يُنظر: جامع البيان (٤٩٦/٢٤، ٤٩٧)، ومعالم التنزيل(٤٦٦/٨).
(٤) الإخلاص: ١.

ذِرَاعُهُ؟ فَغَضِبَ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِقَوْلِهِ – تَعَالى –: { وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[١]". أهـ[٢].

وبالرجوع إلى تفسير الطبري وجدتُ هذا القول – الذي لم يُصرِّح الدمنهوري بنسبته إلى قائلٍ– مُخرَّجًا بسند ابن جرير عن سعيد بن جبير، كما عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير وابن المنذر عن سعيد رضي الله عنه[٣].

ومع هذا الذي سبقتُ بتقريره من ذكره تلك الأقوال دون نسبتها إلى قائليها من الصَّحابة والتابعين وجدته يُصرِّح – أحيانًا – بعزو بعض هذه الأقوال إلى قائليها، لكنَّها بالنسبة لِما لم يُصرِّح بعزوه قليلةٌ جدًا، وقد قيل: " من بركة العلم نسبته إلى قائله".

ومن أبرز الصَّحابة الذين صرَّح بالنقل عنهم: عبد الله بن عباس[٤]، وعمر بن الخطَّاب[٥]، وعليٌّ بن أبي طالب[٦]، وأمُّ المؤمنين عائشة[٧]،

---

(١) الأنعَام: ٩١.

(٢) الفيض العميم ص: ٢٢٤.

(٣) يُنظر: جامع البيان (٦٨٨/٢٤)، والدر المنثور (٦٧١/٨).

(٤) صرَّح بالنقل عنه في أحد عشر موضعًا. يُنظر: ص ٥١، ٧٦، ٧٨، ١٠٠، ١٠٥، ١٣٠، ١٥٩، ١٦٧، ١٨١، ١٨٩، ٢٣٢.

(٥) صرَّح بالنقل عنه في أربعة مواضع. يُنظر: ص ٧١، ٩٠، ١٥٥، ١٦٥.

(٦) صرَّح بالنقل عنه في ثلاثة مواضع. يُنظر: ص ٦٠، ٧٨، ٢٠١.

(٧) صرَّح بالنقل عنها في موضعين اثنين. يُنظر: ص١٣١، ٢٣٢.

والحسن بن عليٍّ[١]، وأبو بكرٍ الصدِّيق[٢]، وعبد الله بن مسعود[٣]، وعبد الله بن غالب[٤] رضي الله – تعالى– عنهم وأرضاهم.

ومن أمثلة ذلك: ما نقله عن ابن عباس– رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}[٥]، قال: " قَالَ ابْنُ عَبَّاس: لَهُ فِي الجَنَّةِ أَلْفُ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ أَبْيَض، تُرَابُه الْمِسْكُ[٦]". وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُيَ الشَّفَاعَةُ فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَرْضَى[٧]". أهـ[٨].

وما نقله عن عبد الله بن غالب، والحسن بن عليٍّ – رضي الله عنهما – عند تفسير قوله – تعالى–: { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[٩]، قال: " وعَنِ عَبْدِ اللهِ بنِ غالب أَنَّه كَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: رَزَقَنِي اللهُ البَارِحَةَ خَيْرًا، قَرَأْتُ كَذَا وَصَلَيتُ كَذَا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا فِراس، مِثْلُكَ يَقُولَ: مِثْلَ هَذَا، قَالَ: يَقُولُ اللهُ – تَعَالَى –:{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، وَأَنْتُم تَقُولُونَ: لا

---

(١) صرَّح بالنقل عنه في موضعين اثنين. يُنظر: ص ٦٠، ٢٠٩.
(٢) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص١٤٧.
(٣) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ١٣٢.
(٤) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ٥٩.
(٥) الضُّحى: ٥.
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٨٧/٢٤).
(٧) ذكره الرازي في تفسيره (١٩٤/٣١).
(٨) الفيض العميم ص: ٥١.
(٩) الضُّحى: ١١.

**تُحدِّثْ بِنعمةِ الله[١]. وعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ أنَّه قال: " إِذَا عَمِلْتَ خَيْرًا فَحَدِّثْ إِخْوَانَكَ لِيَقْتَدُوا بِكَ[٢]". أهـ[٣].**

**وما نقله عن عمر– رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: {فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}[٤]،**

**قال: " قَالَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ: " إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدَكُمْ فَارِغًا سَبَهْلَلًا، لَا فِي عَمَلِ دُنْيَاه ولَا فِي عَمَلِ آخِرَتِه". والسَّبَهْلَلُ: الذي لا شئ معه[٥]". أهـ[٦].**

**وما نقله عن عليٍّ – رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: { ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ}[٧]، قال: " قَالَ سَيدنا عَلِيُّ بنُ أبي طَالب: هِيَ النَّارُ بَعْضَهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ". أهـ[٨].**

**وما نقله عن عائشة– رضي الله عنها – عند تفسير قوله – تعالى–: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[٩]، قال: " وعن عائشة أَنَّه كان بَيْنَ يَدَيْهَا عِنَبٌ قَدَّمَتْهُ إِلَى نِسْوَةٍ بِحَضْرَتِهَا،**

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٣١/١٠).

(٢) ذكر الإمام الرازي هذا القول ونسبه للحُسين بن عليّ وليس الحسن. يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٠١/٣١).

(٣) الفيض العميم ص: ٥٩،٦٠.

(٤) الشَّرح: ٧.

(٥) ذكره الخازن في تفسيره (٤٤٣/٤).

(٦) الفيض العميم ص: ٧١.

(٧) التِّين: ٥.

(٨) الفيض العميم ص: ٧٨.

(٩) الزلزلة: ٧، ٨.

فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَمَرَتْ لَهُ بِحَبَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْعِنَبِ، فَتَبَسَّمَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ فِيمَا تَرَوْنَ مَثَاقِيلَ كَثِيرَةً، وَتَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ". [ وَلَعَلَّهَا][1] كَانَ غَرَضُهَا التَّعْلِيمَ، وَإِلَّا فَهِيَ كَانَتْ فِي غَايَةِ السَّخَاوَةِ. رُوِيَ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَعَثَ لَهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي غِرَارَتَيْنِ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ وَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ: يَا جَارِيَةُ [ فُطُورِي][2] هَلُمِّي فَجَاءَتْ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقِيلَ لَهَا: أَمَا أَمْسَكْتِ لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِي بِهِ لَحْمًا نُفْطِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَوْ ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ ذَلِكَ[3]". أهـ[4]. وما نقله عن أبي بكر– رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)}[5] ، قال: " قَالَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا[6]".أهـ[7].

---

(١) في الفيض العميم: ( لعلَّ)، والمثبت من مفاتيح الغيب (٢٥٧/٣٢).

(٢) ما بين المعكوفتين أثبته من مفاتيح الغيب (٢٥٧/٣٢).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره (٢٥٧/٣٢).

(٤) الفيض العميم ص: ١٣١.

(٥) القارعة: ٦ - ٩.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٢٢)، وذكره الرازي في تفسيره (٢٦٨/٣٢).

(٧) الفيض العميم ص: ١٤٧.

**ومن أبرز التابعين الذين صرَّح بالنقل عنهم: الحسن بن أبي الحسن البصري(١)، وكعب الأحبار(٢)، ومجاهد بن جبر(٣)، وقتادة بن دعامة(٤)، وعكرمة(٥)، والضَّحاك(٦)، وطاووس(٧)، وجابر الجعفي(٨)، ومحمد بن كعب القرظي(٩) رضي الله عنهم أجمعين.**

**ومن أمثلة ذلك: ما نقله عن مجاهد – رضي الله عنه –عند تفسير قوله – تعالى–: { وَطُورِ سِينِينَ}(١٠)، قال: "وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سِينِينَ الْمُبَارَكُ(١١)".أهـ(١٢).**

**وما نقله عن قتادة – رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}(١٣)، قال: " وقَالَ قَتَادة: القَلَمُ نِعْمَةٌ مِنْ اللهِ، وَلَولَا ذَلِكَ**

---

(١) صرَّح بالنقل عنه في أربعة مواضع. يُنظر: ص ١٣٢، ١٥٢، ١٦٢، ٢٠٩.

(٢) صرَّح بالنقل عنه في موضعين اثنين. يُنظر: ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ٧٦.

(٤) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ٩٠.

(٥) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ١٧٨.

(٦) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ٢٢٣.

(٧) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ٦٣.

(٨) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ١٥٦.

(٩) صرَّح بالنقل عنه في موضعٍ واحدٍ. يُنظر: ص ١٣٠.

(١٠) التِّين: ٢.

(١١) ذكره الرازي في تفسيره (٢١٢/٣٢).

(١٢) الفيض العميم ص: ٦٣.

(١٣) العلق: ٤.

**لَمْ يَقُمْ دِينٌ ولَا يَصْلُحُ عَيْشٌ[١]". أهـ[٢].**

**وما نقله عن كعب الأحبار – رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[٣]، قال: " وَقَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ: لقد أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– آيتَانِ، أَحْصَتَا مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ والصُّحُفِ: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[٤]". أهـ[٥].**

**وما نقله عن الحسن البصري– رضي الله عنه – عند تفسير قوله – تعالى–: { ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ}[٦]، قال: " .....أَيْ حَقًّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ لَكِنْ حِينَ يَصِيرُ الْفَاسِقُ تَائِبًا، وَالْكَافِرُ مُسْلِمًا، وَالْحَرِيصُ زَاهِدًا، وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ: لَا يَغُرَّنَّكَ كَثْرَةُ مَنْ ترى حولك فإنك تموت وحدك، وتبعث وَحْدَكَ وَتُحَاسَبُ وَحْدَكَ[٧]، يدل له: { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ}[٨]، { ويَأْتِينَا فَرْدًا}[٩]، { ولَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى}[١٠] ".أهـ[١١].**

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٩/٢٤).

(٢) الفيض العميم ص: ٩٠.

(٣) الزلزلة: ٧، ٨.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥٢/٢٠).

(٥) الفيض العميم ص: ١٣٢.

(٦) التكاثر: ٤.

(٧) ذكره الرازي في تفسيره (٢٧١/٣٢).

(٨) عَبَسَ: ٣٤.

(٩) مَرْيَمَ: ٨٠.

(١٠) الأنعَامِ: ٩٤.

(١١) الفيض العميم ص: ١٥٢.